قراءةالخارجية البريطانية
لزيارة مطران الحبشة المصرى لروسيا سنة1902

أ.د. أحمد عبد الدايم(*)

• **مُلخص:**

لم تحظ زيارة المطران المصرى متاؤوس لروسيا القيصرية سنة ١٩٠٢ بدراسة تاريخية تبرز أهدافها وطبيعتها من قبل. لهذا تمثل وثائق الخارجية البريطانية مصدرًا مهمًا فى تجلية حقيقة الزيارة وأهدافها. فحينما تفاقمت المشاكل بين مصر والحبشة حول دير السلطان، لجأ منليك، امبراطور اثيوبيا، إلى الاستعانة بالروس، طالبًا الدخول فى حمايتهم الدينية، ومهددًا بالابتعاد عن الكنيسة المصرية والخروج على سلطتها الدينية تمامًا. وفى هذا الاطار تشرح لنا الوثائق البريطانية الصعوبة التى كانت تواجهها اثيوبيا فى قبول الروس بهذا التغيير. ومن ثم قدمت لنا الزيارة على أنها تمت بالاتفاق بين منليك ومتاؤس لإقناع الروس بهذا التغيير، وفى جانب اَخر منها بينت لنا دور الروس فى الترتيب لها وتنفيذها. بل افترضت فى جانب ثالث بأن مهمة المطران المصرى كانت سرية للغاية، ولا تعلم الكنيسة المصرية عنها شيئًا واتضح عكس ذلك. وعلى هذا، رسمت لنا هذه الوثائق أطرًا مختلفة تستوجب قرائتها بعناية، حتى نقف على التطورات التى حدثت بين الكنيسة المصرية والاثيوبية فيما بعد.

الكلمات المفتاحية: روسيا، المطران المصرى، متاؤوس، الخارجية البريطانية، الحبشة، الكنيسة المصرية

(*) أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بكلية الدراسات الأفريقية العليا – جامعة القاهرة

- **Abstract:**

The British Foreign Ministry's reading of the visit of the Egyptian Bishop of Abyssinia to Russia in 1902

The visit of the Egyptian Bishop Mataus to Caesarean Russia in 1902 did not receive a historical study that highlights its objectives and nature before. That is why the documents of the British Foreign Ministry represent an important source in clarifying the truth of the visit and its objectives. When the problems aggravated between Egypt and Abyssinia over Deir al-Sultan, Menelik, the Emperor of Ethiopia, resorted to the help of the Russians, asking to enter into their religious protection, and threatening to move away from the Egyptian Church and completely depart from its religious authority. In this context, the British documents explain to us the difficulty that Ethiopia was facing in accepting the Russians with this change. Then the visit was presented to us as having taken place by agreement between Menelik and Mutas to convince the Russians of this change, and in another aspect it showed us the role of the Russians in arranging and implementing it. Rather, it assumed in a third aspect that the mission of the Egyptian Bishop was very secret, and that the Egyptian Church knew nothing about it, and it turned out to be the opposite. Accordingly, these documents drew for us different frameworks that need to be read carefully, in order to understand the developments that took place between the Egyptian and Ethiopian churches later on.

Key Words: Russia, the Egyptian bishop, Metaus, the British Foreign Ministry, Abyssinia, the Egyptian Church

- **مقدمة:**

إذا كان المطارنة المصريون قد بلغوا مكانة كبيرة جدًا فى الحبشة منذ دخول المسيحية فيها فى القرن الرابع الميلادى، فإن الأنبا متاؤس، مطران الحبشة المصرى فى الفترة 1902– 1926، والذى جرى تعيينه أسقفا على أثيوبيا سنة 1881، ثم مطرانا لها سنة 1889 كمكافأة له على تتويجه منليك امبراطورًا على الحبشة، يعد أحد المطارنة المصريين الذين ساهموا فى تغيير صورة العلاقة بين الكنيسة المصرية والاثيوبية، وأحد الذين لعبوا أدوارًا سياسية وثقافية ودينية واجتماعية لا يعرفها الكثيرون. ونظرًا لتلك المكانة وهذا التأثير، فإن الرجل يستوجب منا قراءة خاصة لتأثيراته المختلفة وتدخلاته المتواترة فى كافة مناحى الحياة الاثيوبية. وعلى هذا جاءت دراستنا " قراءة الخارجية البريطانية لزيارة مطران الحبشة المصرى روسيا سنة 1902"، لتلقى الضوء على أحد هذه الجوانب المهمة التى أوكلت للرجل ونجح فى إنجازها. فزيارته لروسيا لم تحظ بدراسة تاريخية تبرز أهدافها وطبيعتها من قبل. بل اقتصر الأمر على ما كتبه أنطون نجيب من معلومات حولها فى كتيب لا يتجاوز حجمه الثلاثون صفحة تحت عنوان " الارسالية القبطية الحبشية فى البلاد الروسية أو نيافة الأنبا متاووس فى بلاد الروس"، ونشره سنة 1902. ومن هنا، تأتى أهمية الوثائق البريطانية فى تجلية حقيقة الزيارة وأهدافها. فحينما تفاقمت المشاكل بين مصر والحبشة حول دير السلطان، لجأ منليك، امبراطور اثيوبيا، إلى الاستعانة بالروس، طالبًا الدخول فى حمايتهم الدينية، ومهددًا بالابتعاد عن الكنيسة المصرية والخروج على سلطتها الدينية تمامًا. وفى هذا الاطار تشرح لنا الوثائق البريطانية الصعوبة التى كانت تواجهها اثيوبيا فى قبول الروس بهذا التغيير. ومن ثم قدمت لنا الزيارة على أنها تمت بالاتفاق بين منليك ومتاؤس لإقناع الروس بهذا التغيير، وفى جانب آخر منها بينت لنا دور الروس فى الترتيب لها وتنفيذها. بل افترضت فى جانب ثالث بأن مهمة المطران المصرى كانت سرية للغاية، ولا تعلم الكنيسة المصرية عنها شيئًا. وعلى هذا، رسمت لنا أطرًا مختلفة تستوجب قرائتها بعناية، حتى نقف على التطورات التى حدثت بين الكنيسة المصرية والاثيوبية فيما بعد.

على أية حال، يمكننا القول بأن ما قدمته الوثائق البريطانية عن الزيارة يعد بمثابة قراءة جديدة لها، مختلفة تمامًا عن تلك التى رسمتها الجرائد المصرية، أو تلك التى سجلها انطون نجيب فى وريقاته فى تلك الفترة. وبالتالى فإن الاسئلة التى تطرح نفسها: ما هو الدور الذى لعبه المطران المصرى متاؤوس خلال هذه الزيارة؟ ولماذا قدمته الوثائق البريطانية على أنه من قام بتخطيطها وتنفيذها؟ وهل تمت الزيارة بتنسيق بينه وبين منليك الثانى؟ أم أن الكنيسة المصرية كانت على علم تام بها وبأهدافها؟ وماذا حدث خلالها؟ وكيف جرى مسارها؟ وما هى نتائجها؟ وفى هذا الاطار تنقسم الدراسة إلى خمسة محاور رئيسية:-

أولًا- خلفية حول العلاقات المصرية الحبشية الروسية قبل سنة 1902.

ثانيًا- خط سير زيارة المطران المصرى الأنبا متاؤس لروسيا سنة 1902.

ثالثًا- قراءة الخارجية البريطانية لأهداف الزيارة .

رابعًا- تناول الخارجية البريطانية للزيارة وتطوراتها.

خامسًا- نتائج الزيارة وتوابعها.

أولًا: خلفية العلاقات الحبشية الروسية قبل سنة 1902

قبل أن نتناول زيارة الأنبا متاؤس، مطران الحبشة المصرى، لروسيا سنة 1902 فى المحاور التالية، علينا أن نعطى خلفية لتاريخ العلاقات الروسية الحبشية، حتى نتعرف اكثر على السياق الذى تمت فيه الزيارة. وعلى هذا يمكن اجمال تلك العلاقة التاريخية فى خمسة ملامح رئيسية: **الملمح الأول، بداية العلاقات الروسية الحبشة خلال القرن 19.**حيث كانت مصالح روسيا فى اثيوبيا منذ القرن التاسع عشر معروفة للجميع. لهذا تشير الوثائق البريطانية الى محاولات روسيا القيصرية لإيجاد موضع قدم لها فى اثيوبيا، سواء بادعاءات دينية أو بتقديم مساعدات عسكرية لها ضد أعدائها[1]. وكان الراهب الروسي بروسبير أو سبنسكي قد لفت نظر الروس الى الحبشة. حيث أراد نشر المذهب الأرثوذكسي، واستهدف بسط النفوذ الروسي على الحبشة بحجة توحيد المذهبين. لكن الروس توقفوا عن القيام بأى نشاط ديني خلال حرب القرم. ولم تستأنف روسيا نشاطها الا حينما أرسلت بعثة الى القدس برئاسة الاسقف سيريل ناؤموف، فجدد الاتصال بالرهبان الأحباش، ودخل في علاقات مع امبراطور الحبشة تيودور[2]. وبالتالى كان أول اتصال أثيوبى مع روسيا قد تم فى عهد الامبراطور ثيودور 1855–1868، حينما أراد ان يضم الاراضى الخصبة على امتداد ضفتى نهر النيل، وينتزع القدس من أيدى الاتراك. فارسل رسالة الى قيصر روسيا يطلب مساعدتهم ضد الاتراك. وفى هذا الاطار بحث تيودور عن شخصية مناسبة لحمل رسالته لمقاصدها، فوقع اختياره على شخص له صلات بالكنيسة الارثوذكسية الروسية فى القدس، ليتصل بالقيصر الروسى[3]. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل حدث تطور لتلك العلاقات

(1) رأفت غنيمى الشيخ: تاريخ العرب المعاصر، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، 1996، ص220.

(2) إلهام محمد علي ذهني:بحوث ودراسات وثائقية في تاريخ أفريقيا الحديث، مكتبة الأنجلو المصرية، 2009، http://www.marefa.org/sources/index.php

(3) ابراهيم عبدالمجيد محمد: ثيودور الثانى امبراطور إثيوبيا والعلاقات الإثيوبية البريطانية فى عهده 1855–1868، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2005، صص37، 38.

فى عهد الامبراطور الاثيوبى يوحنا الرابع 1872–1889، فحينما صمم يوحنا على الحصول على منفذ على البحر الأحمر سنة 1879، كان التقارب الروسى الاثيوبى مصدر خطر كبير لبريطانيا، فلم تحبذه بريطانيا أبدًا، خشية أن يتطور لسيطرة روسيا على أثيوبيا، ويسبب لها المتاعب مستقبلًا[1].

الملمح الثانى، استمرار وصول البعثات العسكرية الروسية للحبشة. فتذكر جريدة موسكوجازيت فى عددها الصادر بتاريخ 16 ديسمبر 1887 بانه من الخطأ تجاهل المصالح القومية الروسية فى اثيوبيا والبحر الاحمر، فى الوقت الذى تبرز المطامع الانجليزية والفرنسية هناك. وقالت بأن المصالح الروسية قد اعتمدت على الارتباط الدينى بين البلدين، بحكم أن الارثوذكسية مذهبهما.وتحقيقا لما نادت به الجريدة، بدا توافد الروس على اثيوبيا فى شكل جماعات، أو عبر حملات منظمة. وفى هذا الاطار يخبرنا القنصل البريطانى فى بورسعيد بتاريخ 6 يناير 1889 بمغادرة 446 رجلا روسيا مع قليل من النساء ورجال الدين لبورسعيد، متجهين على سفينة نمساوية لميناء أوبوك. وفى السياق ذاته أبرق القنصل البريطانى فى سواكن بأن البعثة الروسية المغادرة كانت بقيادة الجنرال نيكولاييف Nicolaieff ، وأن عدد أفرادها 150 فردًا، وأنها قد غادرت أوبوك على نفس الباخرة، بمراقبة سفينة حربية ايطالية، وأنها تنوى التوجه إلى جنوب الحبشة عن طريق هرر، للعمل فى الجيش الحبشى. حيث كانت إثيوبيا تحتاج إلى 2000 جندى من الضباط القوازق فى أوبوك. فى حين أشار السفير البريطانى فى سان بطرسبرج إلى وزير الخارجية بأن حملة روسية أخرى يقودوها كارجوبولوف، فى طريقها للحبشة. حيث غادرت طشقند إلى فارس ثم بومباى وعدن وجيبوتى حتى وصلت لهرر، تحت إدعاء أن مهمتها الأساسية هى البحث العلمى. وكانت هناك بعثة روسية ثالثة فى طريقها للحبشة بقيادة الكابتن ليونتيف، حيث استمرت بعثته حوالى خمس سنوات، منذ نزولها للقاهرة وحتى محاولة دخول الحبشة

(1) أنتوني سوريال عبد السيد: العلاقات المصرية الإثيوبية، 1855–1935، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2003، ص130.

عن طريق الخرطوم، ثم عودتها ووصولها للحبشة عن طريق البحر. وحين استفسرت الادارة البريطانية عنها من السفير الروسى فى لندن، اتضح بأن أهداقها دينية بحتة [1].

وتطلعت روسيا في عهد يوحنا الرابع لإقامة العلاقات مع الحبشة، فتم تزويدها بالأسلحة وبالعسكريين الروس لتدريب القوات الحبشية، وفي عام 1886 أرسلت روسيا بعثة أخرى برئاسة الكولونيل نيكولاي ايفانوفتش، لكن اعترضتها السلطات البريطانية في سواكن، فأعرب نيكولاي بأنه لا ينوي زيارة الحبشة، وإنما هو طبيب كان في طريقه من موسكو الى الصين.ويبدو أن الكولنيل خدع السلطات البريطانية في مصوع، فقد أفادت الجريدة الروسية بوصول بعثة عسكرية كانت في طريقها من موسكو للحبشة، حيث قدمت الهداياإلى المسئولين، وهدفت ألى إقامة علاقات قوية مع الحبشة بشكل قوى. وقدمت الحبشة لروسيا ميناء على البحر الأحمر ليتمكن الأسطول الروسي من إقامة محطة لنقل الفحم، ومخازن للسلع بهدف تقوية الصلات الدينية بين الدولتين.ومن الناحية العسكرية قام المغامر الروسي اتشينوف في عام 1888 بالنزول في زيلع في ساحل الصومال، وأسس محطة أطلق عليها اسم موسكوفا، بهدف انشاء علاقات تجارية مع الحبشة وشوا. ثم وصلت بعثة عسكرية روسية أخرى للحبشة برئاسة ليونتينف، لتدريب القوات الحبشية. ولا يمكن تبرير هذا الاهتمام الروسي بالحبشة لأسباب دينية وتجارية وسياسية فحسب، بل لأن روسيا خرجت من مؤتمر برلين الاستعماري عام 1885/1884 دون أن تحصل على شيء من الغنيمة في افريقيا. ومن ثم تابعت روسيا إرسال البعثات للحبشة في عهد منليك الثاني عندما أصبح امبراطورًا[2].

الملمح الثالث، تزايد النشاط الدينى الروسى فى الحبشة. وقد تمثل النشاط الروسي في الحبشة والبحر الأحمر في ناحيتين: الأولى، نشاط دينى. حيث نشطت السفارات الدينية بين الطرفين، فوصل وفد حبشي من ميناء أوديسا الروسى يتكون من ثلاث قساوسة

(1) رأفت غنيمى الشيخ: المرجع السابق، ص220،221 .

(2) إلهام محمد علي ذهني:- المرجع السابق.

برفقتهم المغامر الروسي أشينوف، فى حين أرسل يوحنا وفدًا حبشيًا للمشاركة في الاحتفال الديني الذي أقيم في مدينة كييف الروسية بمناسبة مرور 900 سنة على دخول المسيحية فى روسيا. وكان أحد أعضاء الوفد الحبشي يتكلم الروسية، فزار سان بطرسبورج (لينينجراد فيما بعد)، وتقابل مع رجال الكنيسة الروسية قبيل انعقاد الاحتفال الديني، بل تمت عدة مقابلات صحفية مع الوفد الحبشي الكنسي أثناء وجوده في بطرسبورج، حيث أكد رئيس الوفد أنهم يمثلون الامبراطور الحبشى، وأن الهدف هو تقوية العلاقات بين البلدين، وأن الحبشة تزمعلى إرسال مائة طفل من أبناء العائلات الحبشية العريقة للتعلم في روسيا، مطالبًابأن تبعث روسيا أسقفًا من كنيستها إلى الحبشة[1].

الملمح الرابع، الموقف الروسى من الصراع الدائر حول الحبشة. فإذا كانت بريطانيا قد حاربت الوجود الروسى، فإن فرنسا قد شجعت النشاط الروسي فى الحبشة، لأنها أرادت كسر الحصار المفروض عليها، وتقويض الوجود الايطالي في غرب البحر الأحمر. وفى هذا الاطار كانت فرنسا تحسن استقبال البعثات الروسية في أوبوك، بينما كانت السلطات البريطانية ترفض نزولها في زيلع. كذلك كانت السلطات الايطالية في عام 1888 ترفض نزول أى بعثة قادمة من موسكو في مصوع [2]. وتبرير ذلك بأن الحكومة الروسية قد قفت بجانب فرنسا ضد ايطاليا، فى الصراع الذي كان محتدما في أوروبا، حيث كانت ايطاليا ضمن التحالف الثلاثي الذي أقامه بسمارك ضد فرنسا وروسيا. لذلك رأت الدولتان، فرنسا وروسيا، الاتفاق على العمل على تقويض نفوذ ايطاليا كرد على تمسكها بعضويتها في هذا التحالف الثلاثي من ناحية، ولتحقيق أغراضها في أثيوبيا فى تقليص النفوذ الايطالي من ناحية أخرى. هذا بالاضافة إلى رغبة روسيا فى فرض سيادتها الدينية على أثيوبيا في عهد يوحنا الرابع، عن طريق التقرب إلى منليك والتحالف معه ضد الايطاليين لكي تحصل من وراء ذلك على موطئ

(1) نفسه.

(2) نفسه.

قدم في شرق افريقيا. ويلاحظ مما سبق أن محاولات فرنسا ومعها روسيا ضد ايطاليا في هذه المنطقة، قد باءت بالفشل بسبب نجاح الايطاليين في التأثيرعلى منليك والسيطرة عليه وعلى زوجته طايطو Taitou، وذلك بسبب حاجته إلى الدعم الايطالي له حتى يستطيع السيطرة على البلاد [1].

وكانت فرنسا وروسيا تستغلان تدهور العلاقات بين ايطاليا ومنليك نتيجة تلقى الزعيم منجاشا لرسالة من القائد الايطالي، كان قد أرسلها له إبان خروجه عن طاعة منليك يرحب فيها بصداقته لايطاليا. فضلا عن وقوف الروس مؤازرين لمنليك حينما تم تفسير شروط معاهدة أوتشيالي بتفسيرات مختلفة. فحينما أعلن منليك نفسه إمبراطورًا لأثيوبيا في نوفمبر سنة 1890، وأرسل بعد التتويج إلى دول أوروبا رسائل بهدف الحصول على اعترافها به امبراطورا على أثيوبيا، بعثت حكومتا بريطانيا وألمانيا ببرقيتين متشابهتين إلى منليك، جاء فيهما أن إبلاغ إمبراطور أثيوبيا بخبر تتويجه على عرش هذه البلاد كان يجب أن يتم عن طريق ايطاليا لا بواسطته مباشرة. فحينما أثار هذا الرد غضب منليك، انتهز الروس هذه الفرصة فأطلعوه على الترجمة الايطالية للمادة السابعة عشر من معاهدة أوتشيالي الخاصة بفرص الحماية على أثيوبيا. وكما توقعت روسيا، ثار الأمبراطور وأرسل رسالتين إلى ملك إيطاليا يحتج في الأولى على الإهانة التي أنزلها به الايطاليون بهذه الترجمة الخاطئة للمادة، وأمره بتصحيح ذلك، وإعلان هذا الخطأ للدولة الصديقة التي بلغته هذه المادة. وطلب في الثانية تخطيط الحدود بين أريتريا وتيجري بصورة تدخل الأراضي الواقعة شرقي نهر المأرب في نطاق أثيوبيا [2].

وكان الروس وراء انتصار الاثيوبيين فى عدوة في أول مارس سنة 1896، حيث أمدوهم بالسلاح عبر هرر، بعد أن وجدوا في تقوية جيش منليك فرصة طيبة لتحقيق أغراضهم في هذه المنطقة. كما أمدته روسيا بالسلاح والمستشارين الحربيين، كالكابتن

(1) أنتوني سوريال عبد السيد:- المرجع السابق، الجزء الاول، ص ص232،231 .

(2) نفسه، ص ص233،232 .

ليونتيف. وبمجرد وصول الأخير إلى أثيوبيا بدأ بتعليم الرؤوس الأثيوبيين وتدريبهم على الأساليب الحربية الروسية التي استخدمت ضد نابليون الأول، وأشار عليهم باستخدامها ضد الايطاليين، كما اشترك مع بعض الفرنسيين في تدريب قوات منليك على استخدام البنادق والمدافع الجبلية استعدادا لمواجهة الايطاليين[1].

وفي نفس الوقت ظلت أثيوبيا مسرحا للنشاط الروسي، الأمر الذي أقلق الحكومة البريطانية وجعلها تخشى أن يسعى الوكلاء الروس إلى تشويه أهداف الإنجليز في حوض النيل، بصورة قد تستنفر منليك ضد المطامع البريطانية. وكانت روسيا قد أرسلت بعثاتها بهدف تدعيم صداقتها مع إمبراطور أثيوبيا بعد انتصاره في عدوة. بما جعل منليك يعتقد بأن الإنجليز هم الذين شجعوا الايطاليين على غزو بلاده. لدرجة أن ليونتيف الروسى حضر المقابلة التى أجراها الامبراطور الاثيوبى مع أفراد بعثة رنل رود في 28 ابريل سنة 1897. وعند عودتها فى أواخر ديسمبر سنة 1897 قابلت أحد المغامرين الروس، ويسمى آرتامنوف، فى المفوضية الروسية في آديس أبابا. ورغم أن التوافق الروسى الحبشى قد استمر طيلة هذه المدة، إلا أن البريطانيين استطاعوا فى سنة 1901 تغيير الموقف الودي لمنليك لصالحهم. وبدأ النفوذ الروسى حينها يتراجع[2].

الملمح الخامس، التمثيل الدبلوماسى الروسى فى أديس أبابا ومحاولة إجراء تعديلات عليه. فمع أن التمثيل الروسى كان قائمًا فى أديس أبابا منذ بداية حكم منليك على الاقل، إلا أن الرسالة الموجهه من هارينجتونHarringtonالقنصل البريطانى فى أديس أبابا، إلى المركيز سالسبوري.Marquess of Salisbury فى لندن فى 21 فبراير 1900، تعترف بأن الروس هم الذين ساعدوا بانفسهم فى حدوث هذا التغير. حيث أبلغه فيها، بأن فلاسو M. Vlassow، المفوض الروسي فى اديس أبابا، قد بدأ رحلة العودة إلى روسيا. وأبلغه بأن أورلوف Orloff سيكون مسئولًا عن المفوضية

(1) نفسه، ص ص240،241 .

(2) نفسه، ص ص 245–247، 255، 262،263 .

الروسية خلال الأشهر الثمانية المقبلة، وأورلوف هو مترجم شاب، عمل سكرتيرًا لفلاسو منذ وصول البعثة الروسية للحبشة في يناير 1898. موردا لنا اسم الملازمين دافيدوف DavidoffودراجـوميروفDragomiroif،ومعهـم طبيبـين واثنـين مـن الجـراحين المساعدين، وجميعهم سيؤلفون البعثة الروسية الخاصة الجديدة ، واستقبلهم القنصل البريطانى بصحبة الامبراطور الروسى في بولجا Bulga قبيل إرسال رسالته بأيام. لكنه ذكر بأنهم قد جاءو لأغراض رياضية، وأنهم سيبدأون قريبا فى حملة إطلاق النار لفترة طويلة في ريف ولامو Walamo، ثم يعودون لروسيا حينما ينتهون من عملهم. وذكر له فلاسو بأنه ربما لن يعود لأديس أبابا وزيرا مفوضا، لكنه من المتوقع أن يعود كشخص عادى، لانه سيعود إلى روسيا بجسد زوجته التى توفيت مؤخرًا هناك. مضيفًا بأنه سيتم تعيين مفوض آخر مكانه، ما لم يتمكن من إقناع الحكومة الروسية بإلغاء المنصب. وتعترف الوثيقة بأن هذا التغيير قد حدث لأنهم يعتبرون أن الموضوعات الروسية في اثيوبيا قد أصبحت محدودة، وانه إلى جانب المترجم المذكور من قبل، هناك أربعة أطباء يشرفون على المستشفى الروسي، كما لا توجد تجارة بين البلدين، ومن ثم فإن اقتراحاته بغلق المفوضية ستبدو معقولة. خاصة وأن البعثة والمستشفى تكلفان الحكومة الروسية ما بين 8000 و10،000 جنية سنويًا. فضلًا عن أنه غير قادر على اكتشاف أي نتائج للبعثة خلال عامين من عملها فى أديس أبابا. بل جرت محاولة سنة 1899 للحصول من الإمبراطور منليك Menelek على موافقة للعودة إلى رهيطة Raheita، ولكنها فشلت. مشيرًا بأنهم علموا بمحاولة فلاسو لإقناع الإمبراطور منليك منذ فترة، بضرورة الكتابة إلى القيصر Czar، ليطلب منه السماح له بالبقاء بجانب الإمبراطور منليك ممثلًا لروسيا. لكن اعترف بأنه نظرا لحقيقة وصول أربعة أطباء روس جدد مع الملازم دافيدوف، بهدف التخفيف عن الذين عملوا في المستشفى خلال العامين الماضيين، أصبح لديه تردد وحيرة فى وضع الثقة فى نوايا فلاسو المعلنة، وما إذا كان سينصح بإلغاء منصبه أم لا. وختم هارينجتون بملحوظة مهمة،

وهـى أن الكـابتن بلاتـوفيتش Bulatovich هـو الـذى رافـق بعثـة فلاسـو التـى غـادرت جيبوتى متوجهه إلى روسيا [1]. وهذا يعنى امرين: اولهما، هناك تغطية على ترتيبات مستقبلية سيجرى الاعداد لها. ثانيهما، وجود رغبة حقيقية فى عدم جدوى استمرار التمثيل الدبلوماسى، ومن ثم كان على اثيوبيا أن تجتهد لابقاء الروس الى جانبها.

على اية حال، تطورت الأمور بعد ذلك بحيث تخبرنا رسالة تشالرز هاردينج Hardingeالقنصل البريطانى فى سان بطرسبرج إلى المركيز لانسداون Marquess of Lansdowne فى 29 أكتوبر 1901، بمعلومات جديدة حول البعثة الروسية للحبشة. فقالت بأن الكونت لامسدورف Lamsdorff قد أعلن بأنه لا توجد بعثة روسية سيتم إرسالها إلى اديس ابابا، ولكن الطبيب الروسي الذي ستنتهى مدة خدمته هناك، سيحل محله طبيب آخر، وسيمارس مهام منصبه برفقة حراسة صغيرة. وأضاف بانه على الرغم من أن تعيين خليفة لفلاسو لم يحدث في الوقت الحاضر، إلا أنهم لم يتخلوا بعد عن الفكرة بتعيين شخص في نهاية المطاف [2].

وتفيد رسالة القنصل تشالرز هاردينج إلى المركيز لانسداون فى نفس اليوم، اى فى 29 أكتوبر 1901، بأنه سأل عن الكونت لامسدورف وما إذا كانت هناك أي حقيقة في التقرير الذى أُرسل إليه فى 18 أكتوبر، بأنه من المتوقع أن تحظى البعثة الروسية على بعض الاهتمام عند وصولها إلى أديس أبابا، فأجاب في الحال بأنه توجد شكوك في الوقت الحاضر فى ذهاب البعثة الروسية إلى الحبشة، ولكن الشائعات نشأت من حقيقة أنه منذ رحيل فلاسو من الحبشة التحق طبيب بالطاقم الذى طلبه منليك فبقى هناك، وانتهت مدة خدمته حينئذ، وأرسل طبيب آخر مع مرافقة صغيرة للسلامة الشخصية

(1) F.O. 403-297, Part II:- Future Correspondence Respecting Affairs in North –East Africa and The Soudan, January to March,1900, No. 125.Mr. Harrington to the Marques's of Salisbury, Addis Abbaba, February 21, 1900.PP.151,152.

(2) F.O. 403-313, Part II:- Op.Cit., No.155. Mr. C. Hardinge to the Marquess of Lansdowne, St. Petersburgh, October 29, 1901, P.189

وراحته. مشيرا بان الكونت لامسدورف أضاف بأنه لم يتخل عن فكرة إرسال خلف لفلاسو إلى الحبشة، وذلك للتخفيف عن أورلوفOrloff، الذي هو مكلف حينئذ برعاية المصالح الروسية، حيث عين مسؤلًا عن القنصلية في الأماكن الأخرى، ولا يوجد مرشح تم إختياره لهذا المنصب بعد، ولم يتم أى تعيين وشيك وقتئذ. ذاكرًا بأنه من الممكن أن تتعزز الشائعات حول أهمية البعثة من خلال إدراج ثلاثة شبان أحباش في الوفد، من الذين اجتازوا امتحانات مدارس الطب في سان بطرسبورج Petersburgh والذين ينون المغادرة والعودة إلى الحبشة، حسب ما أعلنت "جريدة دي سان بطرسبورج Journal de Saint-Pdtersbourg فى الصفحة الثامنة يوم 21 اكتوبر 1902، مرسلًا مقتطف منها [1]. ذلك المقتطف الذى أعلن فيه، بأن ثلاثة أحباش جاءوا إلى سانت بطرسبورج سنة1897 ليدرسوا الطب، وغادروا روسيا فى 4 اكتوبر 1902 عائدين الى بلادهم بعد إنهاء دراستهم. وهم أول اطباء أحباش يتعلموا فى روسيا [2].

وفيما يتعلق بالشائعات الروسية فى أديس أبابا، فتأتى رسالة بيرد من الحبشة إلى المركيز لانسدون فى 21 يونيو 1902، لتقدم لنا تفاصيل جديدة عن هذا الموضوع. حيث يشير بأن القائم بالأعمال الروسي قد أعلن في محادثة معه، بأنه قد سمع بأن ليونتيف M. Leontieff، بعد أن استنفد سذاجة أفكار المضاربين الأوروبين، تحول تركيزه إلى أمريكا، فوفقا لـ أورلوفOrloff ، فإن الشركات التجارية البحرية، بالتزامن مع رؤية هيوز ليروكس M. Huges Leroux أحد المسافرين الفرنسيين، كانت تأمل فى أن تنشر تصحيحا كاملًا حول المعلومات المنشورة مؤخرا، والتى تحوى بيانات مضللة وغير دقيقة بخصوص الحبشة. وأن تصدير ليونتيف لبعض الشائعات التى بثها حول الشركات الاوروبية والامريكية يشكل صعوبات كبيرة فيها، فهناك خمسة وخمسين من الصوماليين، والسودانيين، والهنود، ومن الرعايا البريطانيين، لديهم مطالبات ضده،

(1) F.O. 403-313 , Part II:- Op.Cit., No. 162.Mr. C. Hardinge to the Marquess of Lansdowne,St. Petersburgh, October 29, 1901, P.195

(2) F.O. 403-313 , Part II:- Op.Cit., Inclosure in No. 162.Mr. C. Hardinge to the Marquess of Lansdowne,St. Petersburgh, October 29, 1901, P.195

وهو الأمر الذى جعل بيرد يسعى لاراحتهم. خاصة وأنه لا يوجد تمثيل أميركي في هذا البلد، ولذا فإن المسافرين الأميركيين يناشدون في العادة وكيل الحكومة البريطانية للحصول على المساعدة. والفرصة بأن يحذوا التجار الأمريكيين حذو المسافرين الامريكان. مشيرا بأنه غامر لايصال الشائعات الروسية إلى مسامع الادارة البريطانية، لعمل اللازم خلال مدة وجود منليك فى أمريكا ومحاولة الدعاية له. وختم بطلب إعادة توجيه رسالة العقيد هارينجتون، ليقوم منليك بتصحيح الرسائل والتصريحات المنسوبة له، والتى أطلقها ليونتيف عليه، والتى بموجبها قيل بان الشركات المشكلة في أوروبا ليست مناسبة [1].

ثانيًا: خط سير زيارة الأنبا متاؤس الى روسيا

تحركت رحلة الأنبا متاؤس من الحبشة فى اواخر سنة 1901 باتجاه مصر.وبعد أن انتهت زيارة مطران الحبشة لروسيا وتركيا عاد الى مصر ليغادرها الى اثيوبيا فى 23 ديسمبر 1902 بعد أن قضى فى رحلته أكثر من عام[2]. وبالتالى توجد ثلاث محطات رئيسية مرت بها زيارة الانبا متاؤس لروسيا:

المحطة الأولى، مصر. فزيارة الأنبا متاؤس لمصر تعد أول زيارة يقوم بها مطران كنيسة الحبشة إلى بلده، ومع أن الزيارة تحمل بعدًا دينيا، إلا أن أهدافها السياسية كانت واضحة. فقد كان تأكيد السلام والعلاقات الطيبة بين مصر وأثيوبيا هو أهم سماتها. فقد حمل المطران في أوائل سنة 1902 رسالة ود من منليك الى خديوي مصر عباس حلمي الثاني، ومعها هدية تؤكد السلام بين البلدين. منوها فى رسالته بأن سبب زيارة المطران هو الرغبة في مشاهدة بلده وأهله ورئيسه الديني (البطريرك). مطالبا خديوى

(1) F.O. 403-323, Part VIII :- Future Correspondence Respecting Affairs in North –East Africa and The Soudan,July to December 1902, No. 35. Mr. Baird to the Marquess of Lansdowne,Addis Abbaba, June 21, 1902.,P.24.25..

(2) أنتوني سوريال عبد السيد: المرجع السابق، الجزء الثانى، ص ص 146، 149 وانظر ايضا الجزء الأول، صص285،284.

مصر برعاية الأنبا متاوس حتى يعود إلى أديس أبابا سالمًا. كذلك بعث برسالة تحمل نفس المعاني إلى معتمد بريطانيا في مصر اللورد كرومر[1].

وحين وصل الأنبا متاؤس الى السويس كان في استقباله محافظ القنال، حيث خصص له قطار حمله الى القاهرة. وهناك كان فى انتظاره مندوب من الخديوي، وآخر من اللورد كرومر، وثالث من الحكومة المصرية، وبعد ان انتهت مراسم الاستقبال ذهب الى السراي التي خصصتها له البطريركية في مهمشة في موكب ضخم وفخم. وفي 8 فبراير استقبله الخديوي والنظار في قصر عابدين استقبالا رسميا، وهذا ما يؤكد على أنه قد استقبل كمبعوث سياسي يمثل امبراطور دولة صديقة. حيث احتفى به الخديوي، فأعرب له متاؤس عن شكره بهذه الحفاوة، وأبلغه سلام الإمبراطور منليك. حيث قدم له نيشان "كوكب الكرامة" من الدرجة الأولى، وهو أكبر نيشان في الحبشة أهداه منليك للخديوي تعبيرًا عن محبته الصادقة. وقد أعرب الخديوي عن سروره، مبلغًا المطران بأنه على أتم استعداد لمساعدته على بلوغ ما يريد، مكلفًا إياه بتبليغ سلامه وامتنانه للامبراطور. كما قدم المطران النياشين الى كل من مصطفى باشا فهمي رئيس مجلس النظار وبطرس باشا غالي ناظر الخارجية، والى غيرهم من رجال الدولة العاملين في الحكومة المصرية، كما تبادل معهم الحديث حول العلاقات الطيبة بين البلدين. ويرى البعض بأن توزيع هذه النياشين على هؤلاء كان بهدف الحصول على تأييدهم في النزاع الدائر في ذلك الوقت بين أقباط مصر والأثيوبيين حول دير السلطان، والتأكيد على أن توتر العلاقات الدينية بين اثيوبيا والكنيسة المصرية لا يؤثر على العلاقات السياسية بين مصر وأثيوبيا [2]. وتهيأت البطريركية المصرية لاستقبال الأنبا متاؤس بعد 21 سنة من رحيله لاثيوبيا، وأرسلت وفدًا لاستقباله فى السويس فى 6 فبراير 1902، وقابل البابا فى القاهرة، ونزل فى سراى الكلية الاكليركية بمهمشة، واحتفلت به البطريركية ورسم مطرانا على الحبشة[3].

(1) نفسه،الجزء الأول، ص ص284،283 .

(2) نفسه، ص ص285،284 .

(3) نفسه، الجزء الثانى، ص ص 146– 149 .

ومن مصر ذهب معه وفد كنسى للقدس، لاطلاعه على حقيقة الامور فى هذا الدير. وتقابل هناك مع القنصل الايطالى، فأبرز لهم أمرًا من منليك، ملخصه بأن يأخذ المفتاح الخاص بالدير، ويسلمه لممهر (فقدا) الاثيوبى الموجود فى الدير. فأطلعوه على وثائق ملكية الدير، فوقع متاؤس والوفد الاثيوبى على إفادة تؤكد ملكية الدير للاقباط، وبذلك يكون متاؤس قد اعترف بملكية الاقباط للدير ووقع على ذلك [1].

المحطة الثانية، روسيا. عرفنا من قبل بأن زيارة الانبا متاؤس إلى مصر قد سبقت زياته إلى روسيا، أو بمعنى أدق أنه لم يذهب لروسيا من الحبشة مباشرة، بل جاء إلى مصر لأنها كانت محطة مهمة وضروية لتحقيق أهداف زيارته إلى روسيا. وفى هذا الاطار يشير أحد المراجع بأنه سافر فعلا الى روسيا فى 21 يونيو 1902، فوصلها فى 5 يوليو 1902 [2]. وتم استقبالهم هناك استقبالا حسنا،وسار الوفد المكون من 7 أفراد ومعهم الانبا متاؤس وسكرتيره الخاص من أوديسا يوم 6 يوليوإلى بطرسبرج عاصمة الروس وسط حفاوة كبيرة وبصحبة ممثل الخارجية الروسية، فوصلوها يوم 8 يوليو. وفى اليوم الثانى قصدوا سراي وزير الخارجيةثم سراى الوزراء، ودامت الزيارات المتبادلة الى يوم 12 يوليو، بعدها قصدوا بترهوف،على بعد 15 كيلومتر من العاصمة لمقابلة القيصر الروسى نقولا الثانى فى قصره.وهناك قدم النياشين الى قيصر روسيا وكبار رجال دولته. وفى يومى 13 و 14يوليو، راح المطران والوفد المرافق له يقومون بزيارة عدة كنائس والمتحف الروسى والقصر الامبراطورى القديم داخل العاصمة بطرسبرح. وفى يوم 15 ذهبوا الى منطقة تدعىكراتنويسلوا، على بعُد ٢٠ كيلومترمن العاصمة، لحضور استعراض الجيشى الروسفى حضور الإمبراطور الروسى وفيكتور عمانويل الثالث ملك إيطاليا وبعض العائلات الملوكية الأخرى. وفى يوم 16 يوليو زاروا معامل الحديد وبعض فبريقات تصنيع الاسلحة. وفى اليوم الثانى زاروا كنيسة

(1) أنتونى سوريال عبدالسيد:– مشكلة دير السلطان بالقدس.. دراسة وثائقية للصراع التاريخي بين الأقباط والأثيوبيين على الدير، مكتبة مدبولى، 1990،ص 40.

(23) نفسه، ص 41.

مارى اسحق ثم كنيسة مريم وبعض الكنائس المجاورة. وفى يوم 18 و19 يوليو زاروا بعض الجزر البحرية ومينا نهر نيفا وصافحوا القيصر والملكة وبعض الوزرا، وتحدث المطران مع القيصر خلال حفل إنزال إحدى السفن العائمة الكبيرة لأول مرة داخل المياه، وزار بعدها والدة الامبراطور. ومن يوم 21 الى 25 ترك الأمر للمطران والوفد المرافق له للنزهه فى الجزر المجاورة والذهاب لحديقة الحيوان الروسية. وفى يوم 28 زاروا دار الضربخانة لسك النقود من الذهب والفضة. ثم ودعوا القيصر يوم 29 يوليو حيث كان مقررا عودتهم اليوم التالى، لكن تم التاجيل الى الاول من اغسطس(1). وبالتالى استمرت الزيارة ما يقارب الشهر، ولم يتعرض كاتبها انطون نجيب لاى تفاصيل سرية غير الوصف العام للزيارة والمقابلات، الامر الذى يجعل حديثه غير ذى اهمية كبيرة فى نواحى الالمام بخفايا الزيارة المختلفة.

وهنا تظهر قيمة الوثائق البريطانية فى التأريخ لتلك الزيارة ورصدها رصدًا دقيقا. حيث تعطينا رسالة فندلي للمركيز لانسداون فى 22 يوليو 1902 ، تفاصيل مهمة عن انطلاق رحلة الانبا من مصر، فتشير بأن القنصل الروسي السابق فى أديس أبابا قد ذهب الى بورسعيد ليستقبل الانبا ويتوجه به الى روسيا، فتناول معه الغداء، وأخذه على متن الباخرة الروسية لمدينة أوديساOdessa الروسية، حيث كان حاكمها في استقباله. ووفقا للتقارير الصحفية، كان هناك هدف مهم، وهو هو عدم لفت الانتباه لزيارة الرجل لسان بطرسبرج (2). بل إن تفاصيل الرحلة نفسها، نعرفها من رسالة القنصل العام البريطانى سميث Smith فى أوديسا، للمركيز لانسداون وزير الخارجية البريطانى فى 7 يوليو 1902، حيث أرسل له ترجمة لمقتطف جريدة أوديسا المحافظة "فيدوموستيVedomosti" الصادرة فى 6يوليو، حيث تقول بأن تاريخ وصول البعثة

(1) انطون نجيب:- الإرسالية القبطية الحبشية في البلاد الروسية: نيافة الأنبا متاءوس في بلاد الروس، مؤسسة هنداوى، القاهرة، 2017، ص ص 12، 14-16، 18-22.

(2) F.O. 403-323, Part VIII :- Future Correspondence Respecting Affairs in North –East Africa and The Soudan, July to December 1902, No. 50. Mr, Findlay to the Marquess of Lansdowne,Cairo, July 22, 1902..,P.33,34..

الحبشية إلى أوديسا كان فى 5 يوليو، وأنها انطلقت منها الى سان بطرسبورج داخل الامبراطورية الروسية [1]. ويفصل ملحق الرسالة السابقة ما تناولته جريدة أوديسا المحافظة فى 6 يوليو 1902 حيث يشير بأن بعثة حبشية في طريقها من اوديسا الى سان بطرسبورج وانها وصلت مساء امس، وانها مكونة من ثمانية افراد بقيادة القس أبونا ماتيوس، كبير مطارنة إثيوبيا على رأس البعثة، ثم طاقم من الموظفين يتكون من بلاتا بولس Plata Bulos، سكرتير ومحافظ مدينة اديس ابابا. ويوسفYoussuf أمين الصندوق، واثنين من المترجمين الفوريين (أنطون ناتشيلى Anton Natchil للترجمة للفرنسية، ومحمد بيومى Muhamed Baumi للترجمة للروسية؛ بصحبة أحد الحراس لهؤلاء الرجال الستة. وكان في استقبالهم عند وصولهم القائم بأعمال محافظ أوديسا وغيره من كبار المسؤولين، حيث قدموا خطبا مناسبة تليق بالبطريرك وتعبر عن دفء المشاعر وحرارتها للضيف الزائر. قائلا بأن البعثة قد تحركت باتجاه سان بطرسبورج هذا الصباح، اى فى 6 يوليو 1902 [2].

وتخبرنا رسالة تشارلز هاردينج HardingeCharles من سان بطرسبورج إلى المركيز لانسدون فى 9 يوليو 1902،عبر المقال المنشور فى "جورنال دو سان بطرسبورج Journal de Saint-Pe'tersbourg" والذى يفيد بوصول البعثة الحبشية الى سان بطرسبرج، بأن متاؤس كان على رأسها ، وأن ممثل وزارة الخارجية الروسية قد رافق البعثة، التى سافرت عبر الإسكندرية والقاهرة، من أوديسا الى سان بطرسبرج، وأنه كان في استقباله ليشين Lischine، المقيم الروسي في الحبشة، بصحبة أسقف الأبرياء، الذى قدم تحية واضحة وقصيرة باسم الكنيسة الأرثوذكسية. وبعد وصول البعثة الى ميدان مدينة سان بطرسبرج، تقدم أبونا متاؤوس ومعه الخبز والملح، بعدها تحركت البعثة للاقامة فى فندق جراند هوتيل [3].

(1) F.O. 403-323, Part VIII :- Op.Cit., No. 12. Consul-General Smith to the Marquess of Lansdowne, Odessa, July 7, 1902...P.9.

(2) F.O. 403-323, Part VIII :- Op.Cit., Inclosure in No. 12. Consul-General Smith to the Marquess of Lansdowne,Odessa, July 7, 1902...P.9.

(3) F.O. 403-323, Part VIII :- Op.Cit., No. 18. Mr. C. Hardinge to the Marquess of Lansdowne, St. Petersburgh, July 9, 1902.P.13..

ويعطينا ملحق الرسالة السابقة، وهو مقتطف من مجلة دي سان بطرسبرج فى 9 يوليو 1902، تفاصيل أكثر أهمية، حيث يشير بأن العاصمة الحبشية أرسلت أبونا ماتيوس، كبير مطارنة الكنيسة الحبشية، فى بعثة فوق العادة للملك منليك مع شقيقه بلاتا بولس، وصلوا أمس 8 يوليو، الساعة 10 صباحا، لساحة بطرسبورج. ويرافقهم يوسف أمين الخزنة وجابرو سيلاسى وأربعة حراس شخصيين. مضيفة بأن المحطة قد ازدحمت بالمستقبلين من أبرشية سان بطرسبرج واسقف الأبرياء، وأسقف دير لافرا، القديس ألكسندر نيفسكي، وصفرونيوس، وإيليا وارسين، وعضو مجلس الدولة حينئذ ليشين سفير روسيا فى الحبشة، والمونسنيور. وحدث ترحيب عام بالمطران واستقبلوه استقبال فوق العادة بالخبز والملح على طبق من ذهب فيرميل. بل رحب به ممثلي المجلس البلدى للمدينة ترحيبًا حارًا[1].

ونكتشف من رسالة السير تشالز سكوت Scott القنصل البريطانى فى سان بطرسبرج إلى المركيز لانسدون فى 23 يوليو 1902 بأنه تسلم إيفاد الخارجية فى16 يوليو حول زيارة الأنبا متاؤس الحبشى لسان بطرسبرج ، وأن المطلوب منه استكمال متابعة الزيارة وتقديم تقارير عنها والتواصل مع الانبا متاؤس هناك. ومع أنه لم يكن لديه أي فرصة مناسبة لمقابلة الأسقف، وبالتالى لم يتمكن من تسليمه رسالة الإمبراطور منليك التى نقلها من خلال وكيله بالنيابة للقنصل البريطانى العام في القاهرة، إلا أنه أشار بأن الأنبا قد تقابل مع الامبراطور الروسى في مدينة بيترهوفPeterhof، وكان بصحبة الامبراطورة ماري Marie. فى هذا الاطار يعطينا معلومات مهمة عن الزيارة وملامحها. حيث يشير الى دعم الامبراطورة مارى ودعمها العميقللامبراطور منليك والشعب الحبشي، باعتبارها راعية لجمعية الصليب الأحمر، وذلك للخدمات الجليلة التى قدمتها الحبشة للأطباء والممرضين التابعين لبعثة الصليب الأحمر الروسية لمعالجة المرضى والجرحى خلال حرب الحبشة الأخيرة. وتشير الرسالة بأنه بعد

(1) F.O. 403-323, Part VIII :- Op.Cit., Inclosure in No. 18. Mr. C. Hardinge to the Marquess of Lansdowne, St. Petersburgh, July 9, 1902...P.13,14..

وصول البعثة الحبشية الى بيترهوف الروسية، حدثت استقبالات من وزراء الخارجية والطرق والمواصلات للانبا متاؤس والوفد المصاحب له، ورتبوا لعد عدة زيارات لكنائس سان بطرسبرج. وهناك وجد الانبا متاؤس وأفراد بعثته الوقت الكافى لمرافقه المفوض الروسلاشين Lischine المعين حديثا كوزير مقيم فى الحبشة، بعدها قاموا بزيارة أشغال ابوشوف Obuchoff وشاهدوا تجربة صناعة المدفع المضلع الجديد [1].

وتأتى رسالة السير سكوت القنصل البريطانى فى سان بطرسبرج إلى المركيز لانسداون فى 6 أغسطس 1902، لتخبرنا بأن متاؤس قد غادر حينها موسكو Moscow، في طريقه الى سيباستوبولSebastopol، وأنه يستعد لمغادرة روسيا من أي منفذ. مشيرا الى الغموض الذى يحيط بالرحلة فى روسيا حيث ذكر بأنه " من الصعب هنا الحصول على أي معلومات دقيقة تماما عن طبيعة البعثة والهدف الحقيقى لمهمته التي كانت محاطة ببعض الغموض. وأن السفير الإيطالي كان حريصا على قدم المساواة معه للحصول على المعلومات حول طبيعتها. وانهما لاحظا أن هناك إشعارات رسمية عن زيارة أبونا، الذى كان يوصف في وقت واحد على انه سفير من الامبراطور منليك، وفي اشعار آخر على أنه المبعوث الخاص به؛ وانه ذهب لمقابلة الامبراطور الروسى بغرض تقديم رسالة يطلب الحماية الدينية، وقبل مغادرته تم منحه مقابلة ثانية مع الإمبراطور الروسى، سلمه فيها رده على رسالة الإمبراطور منليك". وراحت الوثيقة تتعمق أكثر فقالت " بأن الكونت لامزدورف Lamsdorff ذكر للسينيور برينتى Prinetti والكونت مورا Morra بأن الرسالة التي رفعها أبونا ليست أكثر من مجاملات شرقية معتادة، وأن مهمته معنية خصيصًا بالمسائل الدينية، بسبب الاهتمام المشترك للكنيستين الشرقيتين، يقصد الاثيوبية والروسية. ومع ذلك أكد الكونت مورا على أن القصد الأصلي هو أن يقيم الاسقف الحبشي إقامة كاملة في أحد الأديرة الأرثوذكسية في سان بطرسبرج تمهيدًا للارتباط الدينى، غير أن مطران الكنيسة

(1) F.O. 403-323, Part VIII :- Op.Cit.,No. 51. Sir C. Scott to the Marquess of LansdowneSt. Petersburgh, July 23, 1902.,P.34,35..

الأرثوذكسية الروسية قد اعترض على ذلك، وأعلن بأن هذا يعد مستحيلًا، حيث اعتبر بأن عقيدة الكنيسة الحبشية ومذهبها بدعي على نحو مبتذل، ومن ثم طرح عليها التواصل مع الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية، وبناء عليه عاد أبونا ليقيم فى إحدى الشقق في إحدى فنادق العاصمة خلال فترة اقامته". غير أن ختام الوثيقة، " ولا يميل الكونت مورا إلى نعت زيارة ابونا بأي أهمية سياسية خاصة، فعمل المطران الأرثوذكسي، في حال وجوده بشكل صحيح، لا يمكن أن يعطي الكثير من التشجيع لأي فكرة تقول بأنه قد حصل على حماية الكنسية الروسية Russian Ecclesiastical Protectorate لكنيسته الاثيوبية"[1]، يوضح أمرين: أولهما، أن الزيارة هدفها دينى وليس سياسى. ثانيهما، أن هذا الهدف الدينى لم يتحقق.

المحطة الثالثة، تركيا.بعد أن أنهى الأنبا متاؤس زيارته إلى روسيا توجه بعدها إلى الاستانة، فركب من سباستبول حتى وصلوا الى القسطنطينية يوم 5 اغسطس 1902. وفى اليوم الثانى زاروا بطريرك الروم بالمدينة وفى اليوم الثالث، 7 اغسطس، زاروا مسجد ايا صوفيا. وفى يوم الجمعة 8 اغسطس قابلوا السلطان العثمانى عبدالحميد، فرحب بهم وتحدث مع المطران سائلا عن صحة الملك الحبشى منليك مطمئنا عن الاحباش الـ 150 الذين يعيشون فى الاستانة وانهم فى راحة، فرد عليهم المطران وبان مسلمى الحبشى ايضا يعيشون فى مثل هذه الراحة، فاستفسر السلطان عن رحلتهم للبلاد السكوبية التى مروا بها خلال رحلة عودتهم من روسيا وعن موعد عودتهم للقاهرة، فاجابه بانها ستكون السبت الموافق 9 اغسطس، مقدما له خطاب من الامبراطور منليك، ذاكرا بأنه هو نفسه، اى المطران، من رعايا السلطان، بعدها زار وزارة الخارجية العثمانية، وفى ظهيرة السبت قصدالوفد وابور البرنس عباس قاصدين الديار المصرية للعودة[2]. وفى نفس السياق تخبرنا احدى الوثائق البريطانية تحت

(1) F.O. 403-323, Part VIII :- Op.Cit.,No. 60.Sir C. Scott to the Marquess of Lansdowne,St. Petersburgh, August 6, 1902..,P.50,51..

(2) أنطون نجيب: المرجع السابق، ص ص 24–30.

عنوان" زيارة الاسقف الحبشي إلى القسطنطينية"، بعض التفاصيل السابقة وبأن متاؤس خلال مقابلته مع السلطان العثمانى سلمه خطاب من الملك منليك[1].

وفيما يتعلق برحلة العودة فتخبرنا رسالة فندلي القنصل البريطانى فى الاسكندرية، إلى المركيز لانسدون فى 18 أغسطس 1902 " بأن أبونا متاؤوس، رئيس أساقفة الحبشة، قد عاد الى الإسكندرية الأسبوع الماضي، بعد أن سافر من سان بطرسبرج عبر سيفاستوبول والقسطنطينية". وتقول بأن الانبا متاؤس قد زار، بصحبة الأسقف جوانيس Jouannes وعضو آخر يقيم فى نفس جناحه، القنصل البريطانى يوم 17 أغسطس، وأن القنصل قام برد الزيارة للانبا فى يوم 18 أغسطس. ولعل تعليق القنصل فى ختام رسالته " يبدو أن أبونا كان في حالة معنوية جيدة جدًا، حيث كان أكثر حميمية بكثير مما كان عليه عندما رأيته آخر مرة، فخلال زيارته لروسيا تم تجديد واضح لخزانة ثيابه، وأنه أصبح يلبس الكتان الأرجواني الناعم، وأنه تحدث بشكل جيد عن حسن الضيافة الروسية، وعن زيادة أمواله"[2]، يشى بأمرين: الأول، أن أثر الزيارة كان واضحًا على الانبا فى حسن الهندام والمشتريات والدعم المالى. الثانى، أن الأنبا يستشعر أنه حقق أهدافه الشخصية فقط، بما انعكس عليه فى حميميته وحسن ظهوره.

وتحيل رسالة السير أوكنور 0'Conor القنصل البريطانى فى زرابيا Therapia قرب اسطنبولبتركيا، إلى المركيز لانسداون فى 7 أكتوبر 1902 نسخة من إيفاد القنصل البريطانى في القدس بخصوص تحركات الأسقفالحبشي متاؤس، والتى تشير الى إمكانية التنازل للروس عن اماكن معينة من املاك الكنيسة الحبشية بالقرب من كنيسة القيامة، وأنه أحال نسخة من هذا الإيفاد مباشرة لوكيل الحكومة البريطانية بالقاهرة[3]. وملحق الرسالة السابقة، والذى هو عبارة عن رسالة من القنصل جون

(1) F.O. 403-323, Part VIII :- Op.Cit.,No. 65., August 11, 1902..,P.53,51..

(2) F.O. 403-323, Part VIII :- Op.Cit.,No. 72. Mr. Findlay to the Marquess of Lansdowne, Alexandria, August 18, 1902..,P.56..

(3) F.O. 403-323, Part VIII :- Op.Cit.,No. 107. Sir N. 0'Conor to the Marquess of Lansdowne,Therapia, October 7, 1902.,P.76..

ديكسونDicksonJohn إلى السير أوكونور فى 19 سبتمبر 1902، يقدم لنا تقريرا خاصا عن رحيل الانبا متاؤس عن مصر، وأنه تابع هذا الرحيل عبر الصحف فرصد بأنه الانبا قد زار سان بطرسبرج والقسطنطينية. وأنه حين أقام فى روسيا كان موضع اهتمام كبير من جانب السلطات الروسية، أما فى القسطنطينية فكان موضع اهتمام السفارة الروسية(1).

وتفيدنا رسالة فندلي القنصل البريطانى فى الاسكندرية إلى وزارة الخارجية البريطانية فى 18 أغسطس 1902، بتغيير إعلان متاؤس عن زيارة بعض الأديرة في صعيد مصر قبل أن يعود إلى الحبشة، باختزاله الزيارة بحجة خوفه من الاصابة بمرض الكوليرا المنتشر فى مصر فى تلك الفترة(2).

ثالثا:قراءة الخارجية البريطانية لأهداف زيارة الأنبا متاؤس لروسيا

اعتقد أن هناك ثلاثة أهداف رئيسية كانت وراء زيارة الأنبا متاؤس إلى روسيا: **الهدف الاول، هدف دينى.** وهذا الهدف كان فى كثير من جوانبه معلنا. وهو ينقسم الى شقين: **الشق الأول،محاولة حل مشكلة دير السلطان.** ومشكلة الدير هذافى أنه يقع في موقع استراتيجي بمدينة القدس بفلسطين، وبالتحديد على سطح كنيسة القديسة هيلانه، مغارة الصليب، وكنيسة الملاك والممر الموصل من كنيسة هيلانه إلى سور كنيسة القيامة، أو بعبارة داخل نطاق موضع الصلب والقبر المقدس، ويعتبر من الاماكن المسيحية المقدسة التي يسرى عليها نظام الوضع الراهن Status Quo. حيث ترجع جذور المشكلة القائمة بين الأقباط المصريين والأثيوبيين حول ملكيته إلى القرن السابع عشر، عندما استضاف الأقباط المصريون الاثيوبيين نتيجة طرد الأرمن لهم من

(1) F.O. 403-323, Part VIII :- Op.Cit.,Inclosure 1 in No. 107. Sir N. 0'Conor to the Marquess of Lansdowne.—(Received October 13.) (No. 431.)Therapia, October 7, 1902.,P.76,77..

(2) F.O. 403-323, Part VIII :- Op.Cit., No. 72. Mr. Findlay to the Marquess of Lansdowne, Alexandria, August 18, 1902..,P.56..

أملاكهم بسبب عجزهم عن دفع الضرائب عن هذه الاملاك. حيث ظل الإثيوبيون يقطنون الدير مع الأقباط، حتى حصل الاخيرون على موافقة من السلطات العثمانية الحاكمة سنة 1820م على ترخيص بترميمه، فأخلوه من الأحباش لحين الانتهاء من أعمال الترميم والتشطيبات.وعقب الانتهاء من الترميمات عاد الأحباش مرة أخرى إليه، بعد أن زاد عددهم وقوتهم؛ مما جعلهم يتوجسون من الأقباط ويخشون طردهم مرة أخرى، لذلك فقد ساءت العلاقات فيما بينهم نتيجة للتنافر والتباعد. وعلى الرغم من ذلك عادوا مرة أخرى في سنة 1839م، وسمح الأقباط لهم بمشاركتهم الصلاة والاحتفالات الدينية منذ سنة 1842م.ومع ازدياد خوف الإثيوبيين من أن يطردهم الأقباط من دير السلطان، أخذوا يستعينون بالإنجليز منذ سنة 1846، فنصحوهم بخطف مفاتيح الدير والحاقه بالقوة سنة 1850م. لكن انتهى الأمر إلى إعادة مفاتيح الدير إلى الأقباط. وإذا كانت الفترة مابين عام (1850–1862م) قد شهدت هدوءا وسكينة بين الطرفين، إلا أن الأمور سرعان ما عادت إلى ما كانت علية في منتصف القرن التاسع عشر، وخاصة بعد وفاة البابا "كيرلس الرابع " عندما أشاع الأحباش سنة 1858م بأن الأقباط سيبيعون دير السلطان للروس، بل الأكثر من ذالك قدموا التماسًا للدولة العثمانية، وقاموا بخطف مفاتيح الدير، لكن حكم فى الأمر لصالح الأقباط، حيث عادت المفاتيح إليهم سنة 1863م. وزاد من قوة الأقباط وتمسكهم بحقوقهم انعقاد مؤتمر برلين في يونيو1878م، فأسفر عن عقد معاهد في يوليو استهدفت تسوية المسألة الشرقية برمتها، حيث نصت المادة(62) من تلك المعاهدة على الحرية الدينية، وعلى حق الطوائف في ممارسة طقوسها، وعدم الاعتداء على أملاكهم، وطوال هذه الفترة لم يكف الأحباش المقيمين بالدير عن مشاغباتهم للأقباط [1]. ولما كانت أهمية هذا الدير تتمثل فى ملاصقته لكنيسة القيامة والقبر المقدس، وهذه الكنيسة مشتركة بين جميع الامم المسيحية، لذا فإنه لم يتغير شيئمنذ عهدة برلين، حيث بقى البند 62 من هذه المعاهدة يقضى بوجوب المحافظة على الحالة الراهنة فى جميع أماكن العبادة

(1) أنتونى سوريال عبدالسيد: مشكلة دير السلطان بالقدس.. المرجع السابق، ص ص 10–37 .

المسيحية. بل طلب الاقباط أيضًا التصريح لهم بإقامة الصلاة فى كنيسة الأربعة حيوانات المقدسة، وهى كنيسة قبطية قديمة واقعة فى الطرف الغربى من دير السلطان، ومتصلة بكنيسة القيامة[1]. وبالتالى فإن مزايا الدير كانت تدفع الاحباش للحصول على حقوق لهم فيه بإدعاء ملكيته. على اعتبار ان الاسرة الحاكمة فى اثيوبيا هم اولى الناس به، لأنهم أحفاد النبى سليمان وملكة سبأ [2].

وفى هذا الاطار أرسل الاحباش رئيس أساقفة الحبشي، الأنبا متياس Abuna Matthias، إلى مصر بهدف وضع تسوية مؤقتة مع البطريركية المصرية. ومن ثم كان مجيئ الأنبا متاؤس الى مصر، ثم سفره بصحبة الأنبا يوأنس، مطران المنوفية والبحيرة، والأنبا مرقس، مطران إسنا والأقصر، إلى القدس سنة 1902 لمحاولة تسوية مسألة دير السلطان بطريقة تبقى على العلاقات الروحية بين الأقباط والأحباش، ولكن فوجي الجانب المصري هناك بتقديم قنصل ايطاليا "Karlintie "رسالة من إمبراطور الحبشة "منيليك"مطالباً تسليم مفاتيح الدير، وبعدها قام المطارنة بفحص الأوارق والمستندات، وأعدوا مذكرة قدمت للبابا كيرلس الخامس البطريرك (1874-1927م)خلاصتها تثبت ملكية الأقباط للدير[3]. بل ذهب الأنبا متاؤس لسان بطرسبرج لذات الغرض، ثم ادخلوا الايطاليين لحلها، لكن كان هناك رفض بشكل قاطع من قبل الأقباط.

الشق الثانى، طلب الحماية الدينية من روسيا. قد يكون لإدعاء روسيا فى القرنين 18 والـ 19 بأنها حامية للمسيحيين الأرثوذكس فى أملاك الدولة العثمانية، ثم تشجيعها للاثيوبيين بإمتلاك دير السلطان، وجاهة فى تعلق الامبراطور الاثيوبى بها. فقد ظلت روسيا تحاول منذ أيام يوحنا الرابع ضم كنيسة اثيوبيا إليها. وحين ازداد ضغط الروس

(1) توفيق اسكاروس: نوابغ الاقباط ومشاهيرهم فى القرن التاسع عشر، الجزء الاول، مطبعة التوفيق بمصر، 1910، ص ص 128، 129 .

(2) Russian Mission to Abyssiniana, The Abyssinians, The Copts and The Holy Places, The Spectator, 16 JUNE 1906, Page 15

(3) أنتونى سوريال عبدالسيد: مشكلة دير السلطان بالقدس.. المرجع السابق ، ص ص 13-37 .

فى عهد منليك، إلى حد أنهم حاولوا إقناعه بخضوع رجال الدين الاثيوبيين لكنيسة روسيا وتوحيد الكنيستين، كان من الطبيعى أن يلجأ إليهم. فاستشعاره بأن روسيا تتبنى قضية الاثيوبيين فى القدس، جعلته يرسل مندوبا عنه للسفير الروسى فى الاستانة، عارضا على الصدر الاعظم مشكلة دير السلطان، مقنعا إياه بإعادة التحقيق من جديد فى الموضوع [1]. وبالتالى لا غرابة فى أن طلب الحماية الدينية كان سببًا من أسباب زيارة الانبا متاؤس لروسيا سنة 1902.

فالبرغم من أن مصر كان لها علاقات دينية وسياسية مع الحبشة منذ دخول المسيحية لأرض الحبشة فى القرن الرابع الميلادى، وأن هذه العلاقات قد زادت شكلًا وموضوعًا منذ القرن الثالث عشر الميلادى وصاعدا، وأن الأحباش يعتمدون طيلة هذه الفترة فى حياتهم الدينية على ما يصلهم من مصر[2]، الا أن تواتر المشاكل بين الطرفين قد تطلب من الاثيوبيين البحث عن بديل أخر. لكن فشلت أول محاولة للانشقاق عن الكنيسة المصرية سنة 1828، بالسعى للحصول على بطريرك من ارمينيا. وجرت عدة محاولات من قبل الكنيسة اليونانية الارثوذكسية، ومن قبل الكنيسة الروسية، فى نهاية عهد الامبراطور يوحنا الرابع، لفصل الكنيسة الاثيوبية عن الكنيسة المصرية. وحين انتشرت شائعة بيع دير السلطان سنة 1858 للروس، أوى الرهبان الاثيوبيين إليهم. لكن يبدو أن الروس قد كانوا يستغلون الاحباش فى الحصول على أرض الدير لتضاف الى قطعة الارض التى اشتروها بجواره، حيث صار موقع الدير يقع بين قنصليتهم المتوقع بنائها وبين كنيسة الروم بالقبر المقدس. وحينما لم يجد منليك حلا لمشكلة دير السلطان، وبتزايد الضغوط الشعبية حول هذا الدير، لجأ الى روسيا لأنها كانت تتمتع بنفوذ قوى لدى الباب العالى العثمانى، فنجحت وساطة السفير الروسى لدى الدولة العثمانية فى أن تعيد التحقيق والبحث فى الموضوع من جديد[3].

---

(1) نفسه ، ص ص 6، 38.

(2) أحمد عبد الدايم محمد حسين: الكنيسة القبطية الأرثوذكسية المصرية فى اتحاد جنوب إفريقيا 1949–1958.. دراسة وثائقية ، حوليات مركز البحوث والدراسات التاريخية، كلية الآداب – جامعة القاهرة، يوليو 2013م، ص14.

(3) أنتوني سوريال عبد السيد العلاقات المصرية الأثيوبية ..، الجزء الثانى، ص ص75، 127،296، 297 ، 310 .

ورغم أن الكنيسة المصرية قد حافظت على حقوقها فى الدير إلا أنها لم تسع لتوتير العلاقات مع الأحباش. وهو الأمر الذى يظهر على هامش زيارة الأنبا متاؤس لمصر سنة 1902، حيث أفردت مجلة الهلال فى عددها الصادر بتاريخ 15 فبراير 1902 مقالة عن مملكة الحبشة النصرانية وعلاقتها بالاقباط، قالت فيها بأن كتابتها قد جاءت على شرف زيارة الأنبا متاؤوس إلى مصر، حيث تحدثت عن الزيارة وأثرها، ثم تطرقت لعرض جانب من تاريخ الحبشة منذ دخول النصرانية فيها، وعن علاقة الملك بالمطران وعلاقة ذلك بالاقباط" [1]. وأكملت فى عدد مارس 1902 حديثها بعرض مقال عن لغة الاحباش[2]. وإذا كانت روسيا قد استغلت سوء العلاقات الكنسية بين مصر والحبشة فى تلك الفترة، وكانت وراء مخطط سحب تبعية الكنيسة الحبشية لها بدلا من الكنيسة المصرية، إلا أن سفر المطران متاؤس لروسيا يؤكد بأن سبب الزيارة كان بهدف الحصول على الحماية الدينية، وبالتالى الحصول على الاعتراف باستقلال الكنيسة الاثيوبية، وإعادة كنيستى القديسة هيلانة بالقدس للاثيوبيين[3].

وتؤكد الوثائق البريطانية على هذا الأمر، حيث تقول رسالة فندلي إلى المركيز لانسدون فى 22 يوليو 1902 ، بأن البطريركية القبطية كانت تخشى من اعتزام متاؤس من التماس الحماية الروسية للكنيسة الحبشية، وبالتالي سحب السيطرة الروحية من الكنيسة القبطية. وتعلق على ذلك " بأن هذه الفكرة هي بغيضة بشكل مكثف للأقباط، خاصة وأنهم يفخرون للغاية بالتفوق الروحي في الحبشة"[4]. بل تخبرنا رسالة فندلي، من الاسكندرية، إلى المركيز لانسداون فى 15 يوليو 1902 ببعض الملامح المهمة بتلك المسألة. فحين يقول: "من المفترض أن نية أبونا تتجه لأن يطلب من

(1) الحبشة النصرانية وعلاقتها بالاقباط، الهلال، الجزء العاشر من السنة العشرة،15 فبراير 1902 ، ص ص 293، .

(2) لغة الاحباش، الهلال، الجزء الحادى عشر من السنة العشرة، 1 مارس 1902 ، ص 337.

(3) أنتوني سوريال عبد السيد: العلاقات المصرية الأثيوبية.. الجزء الثانى، ص 150 .

(4) F.O. 403-323, Part VIII :- Op.Cit.,No. 50. Mr, Findlay to the Marquess of Lansdowne,Cairo, July 22, 1902..,P.33,34

القيصر وضع الكنيسة الحبشية تحت حمايته، وبالتالي سحبها من سيطرة البطريركية القبطية المصرية، وهو الأمر الذى يزعج السلطات القبطية كثيرا من هذه الفكرة"[1]، فهذا يعنى أن الترجيح المبدئى بأن أهداف الزيارة دينية بحتة. ومن المحتمل أن تكون السلطة الكنسية المصرية هى التى روجت هذه المسألة، فرجحتها رسالة فيندلى.

لكن رسالة بيردBAIRD التى أرسلها من أديس أبابا إلى المركيز لانسدون فى لندن فى 30 سبتمبر 1902، لا تقول بالمضمون السابق. حيث يشير بأنه لا يستطيع أن يرى سببا معقولا للقول نظريًا بأن الإمبراطور يتأمل فى وضع كنيسته تحت الحماية الروسية. لأن أي تغيير في الوضع ، سيكون في اتجاه الاستقلال، لأنه يحظى بالشعبية في هذا البلد". عارضًا محادثة الميجور سيكودكولا مع الإمبراطورة طايطو حول زيارة الأنبا متاؤس لروسيا، حيث أجابت في معرض ردها على سؤاله حول موقف الإمبراطور الروسي فيما يتعلق بالكنيسة، بأن الإمبراطور الروسى يعتبر الأب الروحي للكنيسة الروسية، وأن الكنيسة الحبشية كانت على تحالف كثيب معها". ولكن تعليق الامبراطورة" بأن هذا الأب بعيد عنا جدًا، وأنه بعيد أكثر من اللازم بالنسبة لنا"، يقطع بأن هذا السبب قد استغل للترويج فقط، لكنه لا يعبر عن حقيقة الأمر. ولعل إرسال بيرد نسخة من هذا الإيفاد إلى اللورد كرومر[2]، يهدف إلى تطمين الكنيسة المصرية بأن الهدف من الزيارة لا يمس مسئولياتها الدينية فى اثيوبيا.

وإذا كانت رسالة إيرل كرومر Earl of Cromer إلى المركيز لانسداون فى 9 مايو 1904، تقطع بانه لا يستطيع أن يبين الى أي مدى يمثل تهديد الإمبراطور منليك بتبعية الحبشة للكنيسة الروسية من خطورة[3]، إلا أن حديث إحدى الوثائق يبين لنا

(1) F.O. 403-323, Part VIII :- Op.Cit.,No. 26. The Marquess of Lansdowne to Mr. Hardinge, Foreign Office, July IS, 1902.,P.16..

(2) F.O. 403-323, Part VIII :- Op.Cit.,No. 126. Mr. Baird to the Marquess of Lansdowne,Addis Abbaba, September 30, 1902...,P.87,88(

(3) F.O. 403-346, Part X :- Future Correspondence Respecting Affairs in North –East Africa and The Soudan, No. 117,The Earl of Cromer to the Marquess of Lansdowne, Cairo, May 9, 1904,PP.144,145.

صعوبة تحقيق هذا الأمر. فرسالة السير أوكنورإلى المركيز لانسدون فى 8 يونيو 1904، تقول بأن الأمر قد تغير فى السنوات التالية. حيث ذكر المبعوث الحبشي، الجنرال العام ميشاشيا وراكو Mechechia Warku، خلال زيارته للقسطنطينية بأن هدفه من استقباله هو تسفيه مؤامرات الروس، الذين استخدموا نفوذهم في الحبشة ضد انجلترا فى بعض السنوات الماضية، لأن جهود الانجليز كانت موجهة لتسفيه العلاقة بين الاحباش والكنيسة الروسية. وعبرت الوثيقة بأنه من دواعي سرورها أن عمله سيقلل من الهيبة الروسية ومكانتها داخل الحبشة، لأن لانجلترا مصالح كبيرة هناك، وأنها على علاقة ودية للغاية مع الإمبراطور منليك. وأنه بالرغم من الوجود الروسي الطويل فى الحبشة، إلا أن التحركات الروسية لم تؤثر علينهم كثيرًا. ويبدو أن المقابلة مع مشاشا قد سببت السعادة لارتياحهم من المؤامرات الروسية، ووعده بمعاونته للانجليز بتقديم هذه الخدمة الصغيرة. أما فيما يختص بمسألة الكنيسة في القدس، فقد ذكر له بأنه إذا كان يفهم بأن البطريرك القبطي قد كان يسيطر على المبنى منذ مئات السنين، فإن الحبشة كانت قلقة من الانفصال عن الكنيسة القبطية والبطريركية الأرمنية الجريجورية، ومن تشكيل مجتمع مستقل. وبالتالى اعتقد بأن لقاءاته لن تؤثر على الحالة الراهنة[1].

الهدف الثانى، هدف سياسى. لاشك أنوصول الانبا متاؤوس لمصر سنة 1902 رئيسا للوفد، قبل زيارته لروسيا، يشرح بأن ما كان مخططا بينه وبين منليك كما سياتى ذكره فيما بعد، سيجرى تنفيذه بعد فشل المفاوضات حول دير السلطان. ولعل قيام بعض الصحف بفضح متاؤس وبأنه مرسل سرًا لبلاد الدولة العلية والروسية، كان محاولة من قبل الكنيسة المصرية للقول بأنها تقرأ المشهد، وأنها لن يرهبها سياسة الأمر الواقع. فحينما جاء متاؤس أدركت بأنه مجيئه كان بهدف دينى وهو الاستيلاء على الدير وتسليمه للاحباش، لكنها فهمت بأن الاحباش يريدون الدير لمنفعة محرضيهم الروس،

(1) F.O. 403-346, Part X :- Op.Cit.,,No. 135. Sir N. O'Conor to the Marquess of Luns; lowne, Constantinople, June 8, 1904,PP.152,153.

لكونهم يريدون نزع ارثوذكسية مصر بارثوذكسية روسيا[1]. غير أن إشارة أحد الباحثين فى موضع بأن منليك هو الذى أرسله لروسيا فى مهمة سياسية دينية، وأنه أشار عليه بزيارة القدس دون روسيا او تركيا، غير أن حديثه فى موضع اَخر بأن منليك قد جعل زيارة روسيا سرا بينه وبين متاؤس، تقطع بأن الهدف السياسى كان واضحا. حيث تشير بأنه استغل رغبة الروس الجامحة فى جعل كنيسة اثيوبيا تابعة لهم، لتوظيف مهارته السياسية فى مفاوضاته مع الدول الأخرى. وتستشهد بما ذكره رود " بأن منليك كان يثير مسألة الاتحاد الكنسى مع روسيا دوما أمامه". وحينما لم يقتنع الأقباط، وصدرت الأوامر إلى متاؤس لمقابلة الرأس ماكونين الذى كان فى طريق سفره إلى انجلترا عن طريق بورسعيد، اتفق معه على أن يكمل الخطة التى اتفق عليها فى أديس أبابا بالسفر الى روسيا والاستانة. فقد كانإرسال مطران مصرى إلى هناك، يوحى بملكية الاحباش للدير، وأنه لا فرق بين الطائفتين [2].

وإذا كانت بعض المجلات المعاصرة للزيارة، كمجلة عين شمس، قد فطنت إلى أن الزيارة حملت طابعًا سياسيًا أكثر منه دينيًا، حيث كلف الإمبراطور الأثيوبي منيليك المطران متاؤس بأن يُبّلغ شكره لجلالة القيصر على اعتنائه بإرسال الأطباء والممرضين ببلاده[3]، إلا أن الوثائق البريطانية أكدت على أن منليك هو الذى كان وراءها وهو الذى رتب لها. حيث تشير رسالة فندلي إلى المركيز لانسداون فى 22 يوليو 1902، بأنه سمع من مصادر موثوقة بأن البطريركية القبطية قد شعرت بالانزعاج كثيرا نتيجة للعمل الأخير الذى قام به الانبا متاؤس. فقالت" يظهر أن أبونا كان ينوي زيارة بعض الأديرة في صعيد مصر، لكنه فجأة غير رأيه وأعلن رحيله الى

(1) توفيق اسكاروس: نوابغ الاقباط ومشاهيرهم فى القرن التاسع عشر، الجزء الاول، مطبعة التوفيق بمصر، 1910، ص ص 127، 128 .

(2) أنتوني سوريال عبد السيد: العلاقات المصرية الأثيوبية .. الجزء الثانى، ص ص 139، 145-147، 150، 312 .

(3) مجلة عين شمس، السنة الثانية، العددان الحادي عشر والثاني عشر/ شهور أبيب ومسرى والنسئ سنة 1618 ش (1902م)، ص 221

القدس. ثم غادر القاهرة من دون أخذ إذن من البطريرك، وبعد محادثة مع الرأس ماكونين في بورسعيد، تحرك الى سان بطرسبرج عبر أوديسا". وعلى هذا فإن الوثيقة تشرح بأن أوامر الزيارة العليا قد جاءت من منليك مباشرة وأُبلغت له وهو فى القاهرة. بما يعنى أن الامبراطور هو الذى رتب للزيارة ودبر أمرها. ولعل ختامها " ربما يكون الكولنيل هارينجتون قادر على إبلاغ معاليكم بما حدث بين الأسقف والرأس ماكونين في بورسعيد"[1]، يشير بأن الامبراطور كان المخطط الرئيسى لها، وأن هارينجتون بحكم قربه من الرجل يستطيع أن يعرف خباياها. وفى نفس السياق راحت إحدى الوثائق تشرح لنا توافق معلوماتها مع المعلومات الايطالية حول الدور الذى لعبه منليك فى تغيير خطط متاؤس حيث تقول: "واضح أن زميلي الإيطالي قد وردت إليه من القاهرة معلومات حول تحركات أبونا وبعثته، مشابهة جدا لتلك التى زودنى بها السيد فندلي في إيفاده السري. حينما سمع بالتغيير المفاجئ لطريق متاؤس بعد مقابلات مع كويندار، وبعد اجتماعه مع الرأس ماكونين في قناة السويس، وخلص إلى أنه يجب أن يكون قد تلقى رسالة من الإمبراطور[2].

ويبدو أن فيندلى القنصل البريطانى فى الاسكندرية كان شخصية فعالة فى متابعة تلك الزيارة بحكم وجوده فى مصر وسماعه من البطريركية ومن الانبا متاؤس خلال زيارته لمصر. فرسالته إلى المركيز لانسدون فى 18 أغسطس 1902، والتى يقول فيها " بأنه في حيرة فى تصور ماهية الدوافع التى جعلت رئيس الأساقفة وسيده منليك يحيط رحلته بمثل تلك السرية وذلك الغموض؟"، تشى بأن الجهد البريطانى المبذول لمحاولة التعرف على الزيارة ودوافعها كان كبيرًا. ويتضح بأن الهدف السياسى كان بارزا، وربما كانت محاولة القنصل للإجابة عن السؤال السابق بقوله " أتصور أن الملك منليك يظن

(1) F.O. 403-323, Part VIII :- Op.Cit.,No. 50. Mr, Findlay to the Marquess of Lansdowne,Cairo, July 22, 1902..,P.33,34..

(27) F.O. 403-323, Part VIII :- Op.Cit.,No. 60.Sir C. Scott to the Marquess of Lansdowne, St. Petersburgh, August 6, 1902..,P.50,51..

أنه من المستحسن، في ضوء زيارات الرأس ماكونين إلى إنجلترا وفرنسا، وربما إيطاليا، بوجوب إرسال بعثة إلى روسيا، لأنه كان يتخوف من تفسير عمله كجريمة، لذا حاول إخفاء أصل الزيارة، وأخفى طبيعة هذه المهمة"[1]، يعطى الجانب السياسى أهمية كبيرة للزيارة. ولعل إشارة إحدى الوثائق بأن الكونت مورا قد مالللاعتقاد بأن زيارة أبونا إلى سان بطرسبرج كان دافعها الرئيسى الوكالة الروسية، وأنها انطلقت من الرغبة في إقناع الجمهور الحبشى وإشعاره بالتأثير العالمي لروسيا، وأن قيام الرأس ماكونين بزيارة باريس ولندن، تستوجب تنسيق زيارة للعاصمة الروسية، وأن تتلقى روسيا زيارة من الممثل الحبشى"[2]، تعنى أمرين: اولهما، أن الزيارة كانت سياسية فى المقام الاول، وأن منليك قام بترتيبها حتى لا يغضب روسيا منه، بسبب إرساله لمبعوثين اثيوبيين لانجلترا وفرنسا وايطاليا. ثانيهما، أن منليك أراد أن يوظف بعثته لروسيا فى مفاوضاته مع الكنيسة المصرية للحصول على دير السلطان.

الهدف الثالث، هدف شخصى. وهذا الهدف يتعلق بمحاولة تحقيق الطموحات الشخصية لاثنين: أولهما، الإمبراطورة طايطو.حيث يمكن القول بأن الاثيوبيين هم الذين وسطوا الانبا متاؤس لحل مشكلة دير السلطان، وأن زوجة منلك الامبراطورة طايطو[*] كانت وراء هذه الرغبة فى وساطة متاؤس. وبالتالى جاء إلى مصر للحصول على لقب مطران الحبشة، وللتفاوض على الدير[3]. فحين فشلت المفاوضات كما كان

(1) F.O. 403-323, Part VIII :- Op.Cit., No. 72. Mr. Findlay to the Marquess of Lansdowne, Alexandria, August 18, 1902..,P.56..

(2) F.O. 403-323, Part VIII :- Op.Cit., No. 60.Sir C. Scott to the Marquess of Lansdowne,St. Petersburgh, August 6, 1902..,P.50,51..

(*) تزوجت الامبراطورة طايطو قبل منليك أربع مرات، إلى أن تزوجها هو فى المرة الخامسة سنة 1883. وكانت على درجة كبيرة من الذكاء جعلها صاحبة النفوذ فى الدولة، لدرجة جعلت الناس يطالبون بأن تغل يديها عن شئون الدولة. وكان الرأس ماكونين متزوج قبلها من ابنة أخت الملكة طايطو ، للمزيد انظر، الحبشة وامبراطورها، الهلال، العدد رقم 8، ا مايو 1910 ، ص ص 462، 463.

(3) وخلال الزيارة عين منليك الانبا يوحنا اسقف جوجام ليحل محل الانبا متاؤس كمطران بالرغم من وجود الانبا بطرس هناك. لكنه عزله بعد ذلك بتدخل من متاؤس، لانه شعر بخطورته على مركزه وعلى شعبيته، للمزيد أنظر أنتونى سوريال عبدالسيد:- مشكلة دير السلطان بالقدس.. المرجع السابق، ص ص 39، 40.

متوقعًا لها، كانت الامبراطورة تأمل فى أن تحقق زيارة الانبا لروسيا أهدفها، وتحصل هى على الدير. وفى هذا الاطار ذكرت إحدى الدراسات بأن الامبراطورة كانت تريد أن تتخذ من الدير مسكنًا بعد وفاة منليك، فدفعت زوجها لإرسال متاؤس للقدس.

الثانية، الأنبا متاؤس. لما كان المطران المصرى يطلق عليه فى اثيوبيا لقب أبونا وأنه يعتبر الرئيس الاعلى للكنيسة الحبشية، وأنه مبجل من جميع الشعب الاثيوبى، حيث يرأس السلك الكهنوتى الاثيوبى، وأنه بعد تسلم مهمام منصبه فى اثيوبيا لا يغادرها أبدا حتى وفاته، إلا أن الوحيد الذى شذ عن القاعدة هو الأنبا متاؤس[1]، وذلك لأسباب واقعية تتعلق بالرجل وظروف تعيينه مطرانا هناك. فقد جرى تعيينه أسقفا سنة 1881 تحت قيادة المطران الانبا بطرس[2]. وعين معه الانبا مرقص والانبا لوكاس كاساقفة شركاء فى معاونة المطران العام للامبراطورية. وعين متاؤس حينها أسقفا على مملكة شوا وملحقاتها الخاضعة للملك منليك. وبالتالى هو الذى حسم الأمور لمنليك بعد وفاة يوحنا الرابع، فى حين رفض المطران بطرس تتويجه[3]. وبالتالى يعد تاريخ رسم متاؤس لمنليك ملكًا على اثيوبيا سنة 1889 وهو اسقف وليس مطرانا بداية تاريخ جديد للرجل هناك. فقد وعده منليك بالكتابة للبطريرك فى مصر ليمنحه رتبة المطران، ووافقت البطريركية المصرية على ما قام به متاؤس، بعد تدخل بطرس غالى. فتمت ترقيته إلى رتبة المطرانية وبقى كذلك بدون تثبيت حتى جاء الى مصر سنة 1902 ليتم الاحتفال به مطرانا رسميا لكنيسة اثيوبيا بالرغم عن بقاء الانبا بطرس على قيد الحياة، بل أجبرته الكنيسة على مباركة منليك والتصالح مع متاؤس، ومخاطبته بمطران اثيوبيا[4]. ومن ثم يعد الرجل من أشهر مطارنة الأقباط هناك[5].

---

(1) أنتوني سوريال عبد السيد: العلاقات المصرية الأثيوبية .. الجزء الثانى، ص ص 34–37، 298.

(2) الحبشة النصرانية وعلاقتها بالاقباط، الهلال، الجزء العاشر من السنة العشرة،15 فبراير 1902، ص293 .

(3) الحبشة وامبراطورها، الهلال، العدد رقم 8، ا مايو 1910، ص 459.

(4) أنتوني سوريال عبد السيد: العلاقات المصرية الإثيوبية..الجزء الثانى، ص ص129،133–137.

(5) يونان لبيب رزق:– المطران الأخير! الكنيسة القبطية: عابرة للقارات في العصور الحديثة! المطران الذي خلع حاكم الحبشة' عندما حاد عن مشورة عظماء مملكته'!النجاشي يطلب مطرانا متضلعا في اللغتين الإنجليزية والفرنسية، ديوان الحياة المعاصرة، الاهرام ، العدد 42269 السنة 126، الخميس، 29 اغسطس 2002ز.

وقيل بأن لم يكتف بمنصب المطران، ورغب فى منصب البطريركية، وأنه ذهب لروسيا لبحث انضمام الكنيسة الحبشية لروسيا لمنحه ذلك المنصب الأكبر[1].وربما كان متاؤس وراء هذه الرغبة فى الاستقلال لأنه كان معارضًا للقوانيين الكنسية التى صدرت عند تعيينه أسقفا لشوا. فتولدت لديه رغبة فى أن يصبح بطريركا لاثيوبيا، وأنه كان يدين بالولاء الظاهرى للكنيسة المصرية. أما ولاءه الفعلى فكان لكنيسته الاثيوبية ولابنائها فلم يكن موجودا الا بالقدر الذى يحقق أهدافه وأغراضه فقد دس لزملائه القساوسة هناك ولم يسع لدمج الكنيستين. بل جاء بالأب ممهرا معه سنة 1902 ليتولى رئاسة الرهبان الاثيوبيين فى القدس[2].ورغم أن الرجل جاء الى مصر برغبة من منليك، حاملا رسالة منه للبطريرك تحوى آيات الولاء والاخلاص الشخصى، إلا أن ربط سبب الزيارة بأنها بطلب من المطران متاؤس نفسه، باعلان رغبته فى زيارة البطريرك وآباء الكنيسة وأبناء الامة فى مصر، يخالف ما تطرقت له الوثائق البريطانية من تأكيد على وجود رغبة شخصية لدى الأنبا متاؤس حاول تحقيقها من خلال تلك الزيارة.

وفى هذا الاطار تضعه الوثائق البريطانية بأنه كان سببًا رئيسيًا فى القيام بالزيارة. فرسالة فندليFindlay إلى المركيز لانسدونفى 10 يوليو 1902 تشير بأنه وصلته فى اليوم السابق برقية من السيد بيرد Baird في أديس أبابا تقول " طلب مني الإمبراطور إرسال تلغراف لابلاغ أبونا ماتيوس Matthios بأن يدخل عليه السرور، بإبلاغه بأنه لا توجد أي اعتراضات على الزيارة التي يقترحها الأسقف لسان بطرسبورج Petersburgh". وهذا يعنى بأن الانبا متاؤس هو مقترح الزيارة والمخطط لها. ولعل ختامه بضرورة إرسال هذه التفاصيل للكولونيل هارينجتون ليكون على علم بها، وضرورة أن يتواصل مع أبونا في سان بطرسبورج [3]، يقطع بأن رجالات الخارجية البريطانية كانوا فى طور البحث عن الشخصية الرئيسية المرتبة لتلك الزيارة والمخططة لها.

---

(1) أنتونى سوريال عبدالسيد:- مشكلة دير السلطان بالقدس.. المرجع السابق، ص 41.

(2) أنتوني سوريال عبد السيد: العلاقات المصرية الأثيوبية..الجزء الثانى، ص ص 150-152، 31 .

(3) F.O. 403-323, Part VIII :- Op.Cit.,No. 11,Mr. Findlay to the Marquess of Lansdowne, Alexandria, July 10, 1902..P.8..

وفى هذا الاطار تتهمه بريطانيا بأنه السبب الرئيسى فيها، فحين تشير رسالة فندلي إلى المركيز لانسدون فى 22 يوليو 1902 بأنه " غير قادر على القول عما إذا كان المطران لديه أي نية لوضع كنيسته تحت الحماية الروسية، وأن تحركاته السابقة، ثم رحيله، كانت محاطة بالكثير من الغموض، وأنه سبب الكثير من المتاعب لتتبع تحركاته، وأنه من المحتمل أنه كان يخشى أن تختل خططه إذا تدخلت الحكومة المصرية، وأن من حقه إذا كان لديه شيئ أن يخفيه ويجوز له ذلك"[1]، فهذا يعنى أن التقارير الواردة من مصر هى التى وضعت متاؤس كمخطط لهذه الزيارة وداعيا ومنفذا لها. ويزيد ملحق الرسالة السابقة الامر تعقيدا، حيث يعرض لرسالة بيرد من أديس أبابا لفيندلي فى الاسكندرية فى31 يوليو 1902، " بأن الملك منليك أخبره بأنه لم يرسل أبونا ماتؤوس في مهمة ولم يعطه رسالة لإمبراطور روسيا، وأنه ليس في نيته وضع الكنيسة الحبشية تحت الحماية الروسية". وعلى هذا فإن الرسالة السابقة تقدم منليك بعيدا عن تلك الزيارة تماما. بل إن الملحوظة الخاصة التى ختم بها بيرد رسالته " بأنه يعتقد بأن متاؤس هو الذى يتمنى التخلص من سيطرة بطريرك الأقباط، ومن المحتمل أنه قد استخدم تلك القصة كأداة لتحقيق هذه الغاية، وأن رجال الدين والناس يكرهونه هنا، وأن الأخيرين لا يقبلون بالحماية الروسية" [2]، تقدم لنا متاؤس بأنه المحرك الرئيسى للزيارة، وأن دوافعه الشخصية وطموحاته هى التى تقف خلفها.

رابعًا: تناول الخارجية البريطانية للزيارة وتطوراتها

تظهر قيمة الوثائق البريطانية فى تفصيل الظروف المحيطة بالرحلة والأسرار المتعلقة بها. ويظهر هذا فى عدة أمور:

أولها، مسألة جهل الكنيسة المصرية بزيارة الأنبا متاؤس لروسيا وطبيعتها. حيث تشير رسالة فندلي Findlay إلى المركيز لانسداون الإسكندرية فى30 يونيو 1902بأنه

(1) F.O. 403-323, Part VIII :- Op.Cit.,No. 50. Mr, Findlay to the Marquess of Lansdowne, Cairo, July 22, 1902..,P.33,34..

(2) F.O. 403-323, Part VIII :- Op.Cit., Inclosure in No. 72. Mr. Findlay to the Marquess of Lansdowne, Alexandria, August 18, 1902..,P.56..

بالإشارة إلى برقية السير رود للمركيز لانسدون فى 28 يونيو، والذى حول نسخة منها اليه، يخبره بأن السلطات البطريركية القبطية في القاهرة قد أكدت بأن أسقف الحبشة Abyssinian Bishop ، قد ذهب لسان بطرسبورج. وهذا يعنى أن الرحلة لم تكن مجهولة عن السلطة الكنيسة كما سيأتى ذكره فى وثائق بريطانية أخرى[1].وتخبرنا رسالة فندلي إلى لانسداون فى 22 يوليو 1902 بمعلومات غاية فى الأهمية، يتضح فيها بأن المطران المصرى متاؤس كان يشى ببعض المعلومات للبطريركية المصرية، وهذا يخالف ما تقول به بعض الوثائق الأخرى من ان الزيارة مرتبة بين المطران ومنليك بطريقة سرية لا يعلم بها أحد. حيث تشير بأن أحد المخبرين الاقباط التابعين للقنصلية البريطانية قد أبلغها قبل بضعة أيام من رحيل المطران لروسيا، " بأن المطران وردت إليه رسائل من أديس أبابا تأمره بمقابلة الرأس ماكونين أثناء مروره عبر قناة السويس، وأنه سيقوم بتنفيذ اى تعليمات يتلقاها من الإمبراطور منليك"[2].

ثانيها، ظروف الزيارة ومنشأها. وفى هذا الاطار فصلت لنا الوثائق البريطانية تلك الظروف وأحاطتنا بها إحاطة جيدة. حيث لعب القنصل البريطانى فى الاسكندرية دورًا مهمًا فى تلك المسألة. ففى رسالته إلى المركيز لانسدون فى30 يونيو 1902 ، أخبرنا بأن الأسقف لم يتحرك من مصر بإتجاه روسيا إلا بعد أن تقابل مع الرأس ماكونين Ras Makunan في ميناء بورسعيد. مطالبًا لانسدون بأن يتقصى الخبر أكثر من العقيد هارينجتون، لأنه علم بها فى نفس توقيت علمه هو بها، وأنه أرسل نسخة من هذه البرقية للقائم بالأعمال في روما [3]. فى حين أعطتنا رسالته للمركيز لانسداون فى 15 يوليو 1902 بعض التفاصيل عن مقابلة الانبا متاؤس مع الرأس ماكونين في

(1) F.O. 403-314, Part VII.:- Future Correspondence Respecting Affairs in North –East Africa and The Soudan,No. 249,Mr. Findlay to the Marquess of Lansdowne, Alexandria, June 30, 1902.P.219.

(2) F.O. 403-323, Part VIII :- Op.Cit., No. 50. Mr, Findlay to the Marquess of Lansdowne,Cairo, July 22, 1902..,P.33,34..

(3) F.O. 403-314, Part VII :- Op.Cit.,No. 249,Mr. Findlay to the Marquess of Lansdowne, Alexandria, June 30, 1902.P.219.

بورسعيد، فقالت بان متاؤس قد تلقى رسائل من أديس أبابا أعلن بعدها عن عزمه لزيارة القدس، متخليًا عن زيارته المقترحة لصعيد مصر[1].

وفيما يتعلق بوقوف منليك وراء الزيارة فرجحت لنا رسالته إلى المركيز لانسداون فى 15 يوليو 1902 بأن الإمبراطور منليك كان على بينة من المقترح الذى يقوم به الأسقف، وأنه ربما يكون هو الذى قد اقترح تلك الإجراءات كلها، خاصة وأنه يكيل بمكيالين في هذا الشأن"، مشيرًا بأنه " أرسل نسخة من برقيته للسيد بيرد، راجيا لانسدون بأن يقدم تلك الحقائق لهارينجتون ليكون على معرفة بها" [2]. وبالتالى فإن الشكوك البريطانية قد اتجهت لمنليك، وبأنه يقف وراء الزيارة ويدعمها. ولهذا نجد رسالة المركيز لانسداون للسيد هاردينج فى 15 يوليوترسل له نسخة من رسالة فيندلى السابقة [3]، ليتوالى لنا سيل من المعلومات الكثيرة حولها. فتعليق رسالة فندلي إلى المركيز لانسداون فى 22 يوليو 1902 بأنه " إذا كانت هذه القصة حقيقية، فإن مقولة الرأس ماكونين بعدم وجود صلاحيات لديه بمنح التعليمات للأسقف"، هى بوضوح غير دقيقة. بل إن قوله " بأن هناك سبب كبير للاعتقاد بأن الرسائل التي وردت لأبونا من أديس أبابا، والمشار إليها من قبل، والتى تحتوى على تعليمات مباشرة من الامبراطور منليك، وتلك التي كانت فى السابق قابعة فى عقل متاؤس بالسير إلى سان بطرسبرج"، بأن منليك ومتاؤس كانا وراء الزيارة، وأنها كانت مخططة قبل مجئ المطرن الى مصر، وأن استمرار ورورد الأوامر لمتاؤس من أديس أبابا ما هو إلا اشارة بأن منليك قد بدأ يستغل الموقف لصالحه، وأنه يعرف شخصية المطران المصرى وطموحاته، ومن ثم استغله لتنفيذ مشروعاته استغلالًا مميزا. ومن المرجح بأن ختام الوثيقة بقولها؛ "وفي

(1) F.O. 403-323, Part VIII :- Op.Cit.,No. 24. Mr. Findlay to the Marquess of Lansdowne, Alexandria, July IS, 1902,P.16..

(2) F.O. 403-323, Part VIII :- Op.Cit.,No. 24. Mr. Findlay to the Marquess of Lansdowne, Alexandria, July IS, 1902,P.16..

(3) F.O. 403-323, Part VIII :- Op.Cit.,No. 26. The Marquess of Lansdowne to Mr. Hardinge,Foreign Office, July IS, 1902.,P.16..

هذه الحالة فإن خطط المطران يجب أن تكون معروفة لمنليك، وأن رسالة جلالته، التي انتقلت عن طريق السيد بيرد، لا تخلو من المكر والدهاء، وهدفها الحفاظ على مظهر رحيل المطران، وأن الأمر قد جاء عرضا دون عمد، بأن يظهر أبونا وكأنه قد اتخذ مهمته من قبل السلطات الروسية برحيله من القاهرة اليها" [1]، يعنى بأن الادارة البريطانية قد كشفت المكر والحيلة فى الطلب الروسى.

ثالثها، أن عملية الالحاح الروسى على الزيارة كانت أحد الاسباب الرئيسية للقيام بها. فقد أخبرتنا إحدى الوثائق بأن الاهتمام الروسى باثيوبيا كان يتزايد فى نفس توقيت الاهتمام الاثيوبى بروسيا. وأن الزيارة كانت بطلب روسى، حيث كانتروسيا تريد استخدام الحبشة كمخلب قط، لتستولى على أملاكها في القدس، وأن الروس قد اغتنموا الفرصة لتعكير الجو بين اصحاب الدين المشترك، من الاثيوبيين والاقباط. وإذا كان الأحباش يريدون التنصل من ولائهم للبطريرك القبطي، والروس يرغبون فى ضم الكنيسة الحبشية إليهم، فإن هذا الحدث من شأنه أن يساهم فى إحداث تغييرات كبيرة فى الحبشة نفسها. خاصة وأن موقف الشعب الحبشى نفسه سيشكل عقبة رئيسية ضد حدوث هذا الأمر. فالاحباش يفخرون بإنتمائهم للكنيسة القبطية منذ العصور القديمة، وبالتالى سيعارضون بشدة أى تغيير يحدث لهويتهم الدينية، وهذا يعنى أنهم كانوا يشعرون بالقلق من أي تغيير. ولذا كانت هناك صعوبة حقيقية فى أن يستطيع متاؤس او مشاشا فيما بعد، سرقة ولاء الأحباش من كنيستهم الأم، وتحقيق نصر غير دموي ترغب روسيا فى تحقيقه [2].

وتشرح لنا رسالة فندلي إلى لانسدون فى 22 يوليو 1902 ملابسات القضية والدور الروسى فى قيام الأنبا بتلك الزيارة. حيث يشير فى البداية بأن " أبونا تلقى دعوة، أو

(1) F.O. 403-323, Part VIII :- Op.Cit.,No. 50. Mr, Findlay to the Marquess of Lansdowne,Cairo, July 22, 1902..,P.33,34..

(2) Russian Mission to Abyssiniana, The Abyssinians, The Copts and The Holy Places, The Spectator, 16 June 1906,Page 15

التماس، من كويندار M. Koyander، المفوض الروسي، بالتوجه إلى سان بطرسبرج. حينئذ تشاور الأسقف مع وكيل الحكومة البريطانية فى مصر، بما يجب عليه أن يفعله، ثم أرسل برقية إلى الرأس ماكونين في عدن يطلب تعليماته. فأجابه هذا الأخير، بأنه ليس لديه السلطة بما يجب عمله، محيلا طلبه إلى الإمبراطور منليك، الذي أبرق بعد رحيل متاؤس، من خلال السيد بيرد، بعدم وجود اعتراضات لديه على مقترح الرحلة"[1]. ومن ثم تخلص هذه الرسالة إلى أن الروس هم الذين خططوا للزيارة، وأن قنصلهم فى القاهرة قد تولى إبلاغها لمتاؤس، وأن الأنبا استشار المفوض البريطانى قبل استشارة ولى نعمته.

وتعطينا رسالة فندلي للانسدون فى 22 يوليو 1902 معلومات مهمة حول الدور المهم الذى لعبه القنصل الروسى فى اثيوبيا فى إتمام تلك الزيارة. حيث يشير بأنه سمع من بيرد، بشكل شخصى، بأن الوزير المفوض الروسي الجديد رجل فعال وحيوي. وأنه من الصعب ان يضغط على الإمبراطور منليك بدافع المال، وبالتالي فإنه يظهر فى الوقت الراهن على أنه أحسن شخصية يمكن أن ترتب لتقديم إعانة. وبالتالى فإن كل ما سبق، حسبما تشير الوثيقة، يشكل بعض الأسباب الوجيهه لمخاوف البطريركية القبطية. فالسلطة التي تمارسها البطريركية على الكنيسة الحبشية وصلت إلى أعلى من ترشيح قبطي للقيام بالمهمة، كما فى حالة متاؤس، لذا فإن حماية الكنسية الروسية من شأنه أن يوفر حقلا خصبا للدسيسة. وبالتالى فإن موقف المفوض الروسي الحيوي سيكون إلى حد كبير معززا لشكوك الكنيسة المصرية وداعما لها، وأن تأثيره لا يكاد يحتمل، وبالتالى بوجوب استخدام تلك الشكوك وتوظيفها للمصلحة البريطانية [2].

(1) F.O. 403-323, Part VIII :- Op.Cit., No.50. Mr, Findlay to the Marquess of Lansdowne, Cairo, July 22, 1902.., P.33,34..

(2) F.O. 403-323, Part VIII :- Op.Cit., No.50. Mr, Findlay to the Marquess of Lansdowne, Cairo, July 22, 1902, P.33,34..

رابعها، إشكالية الخطابات الرسمية التى حملها متاؤس للقيصر الروسى. يبدو أن الاستقصاء عن طبيعة الرسالة التى كان يحملها متاؤس إلى روسيا قد شغلت الخارجية البريطانية فراحت تتقصى عنها. وفى هذا الاطار تأتى رسالة رودRodd، القنصل البريطانى فى روما، للانسدون فى 11 يوليو 1902 لتخبرنا بأنه أبلغ وزارة الخارجية الإيطالية بأن هناك اشارات ودلائل على أن متاؤس كان يحمل رسالة من الإمبراطور منليك للقيصر، ولكنهم لا يدركون طبيعتها ولا محتواها [1].

بل تكشف لنا رسالة بيرد إلى لانسدون فى26 سبتمبر 1902 بعض المعلومات المهمة حول هذا الأمر. حيث يبلغه بأنه " علم منذ بضعة أيام من الوزير الإيطالي المفوض فى أديس أبابا بأن حكومته كانت منزعجة بعض الشيء بسبب التناقضات بين تصرفات متاؤس في روسيا وأقوال الإمبراطور منليك، حول الطبيعة غير الرسمية لهذه الزيارة، وأنه اقترح الحصول على مزيد من المعلومات حول هذا الموضوع. وبناء على ذلك وجه إليه جزء من رسالة فيندلى فى 18 سبتمبر، يبلغه فيها بتسلم أبونا رسالة من الامبراطور منليك ليسلمها إلى إمبراطور روسيا". مشيرًا بأن الميجور سيكودكولا Ciccodicola رأى الإمبراطور الاثيوبى، وأشار له بسلوك رئيس الأساقفة في أوروبا وفقا للمعلومات التي قدمها منليك بخصوص رحلته. ملمحا لمضمون الخطاب الذى زعم أنه من منليك، ذلك الخطاب الذي سلمه متاؤس باليد إلى إمبراطور روسيا. وعرفنا بأن الحكومة الإيطالية لم تر فى رسالة منليك شيئًا غريبا، لكنهم كانوا في حيرة فى توفيق الظروف مع قناعات الامبراطور السابقة. لكن حينما نفى منليك وجود أي خطاب، عندها أعلن الميجور سيكودكولا باعتراف متاؤس بأنه كان حاملًا لمثل هذه الوثيقة. ويبدو أن هذا البيان قد قد أربك منليك كثيرًا، لذا أعطى تفاصيل القضية برمتها. حيث قال " بأنه قبل مغادرته قبل نحو عامين، قام فلاسوف M. Vlassof، آخر وزير مفوض روسي فى أديس أبابا، بدعوة أبونا لزيارة روسيا. وأبلغ متاؤس هذه

(1) F.O. 403-323, Part VIII :- Op.Cit., No. 54. Sir R. Rodd to the Marquess of Lansdowne,Rome, July 11, 1902..,P.38..

الدعوة له، سواء في ذلك الوقت تحديدا، أو قبل أن يبدأ زيارته لمصر أواخر عام 1901، فأخبره بأنه يمكن أن يستفيد من هذه الدعوة". وحسب ما قال الإمبراطور، كان هذا هو المنشأ والهدف من رحلة أبونا لسان بطرسبرج. أما بخصوص الرسالة المزعومة فقال، بأنها جاءت عقب الاستفسار حول هذا الموضوع من قبل الميجور سيكودكولا له، حيث تسببت استفساراته فى التعريض في أمانته، حيث علم بأن أبونا قد طلب قبل مغادرته الحصول على ورقتين فارغتين تحملان ختم الإمبراطور وتوقيعاته، ليتمكن من استخدامهما فى استخراج جوازات سفر أو فى أى احتياجات أخرى. مشيرًا بأنه قدم فى واحدة من هذه الورقات، التحية وبعض المجاملات للامبراطور الروسي. ومع أن متاؤس كرر فى الورقة التى استخدمها جلالة الملك مرتين، لكنه لم يعط تعليمات ولا سلطة للتفاوض حول أي موضوع في سان بطرسبرج. فقام الميجور بتوجيه الشكر إلى الإمبراطور على إعطاءه تلك المعلومات، مؤكدًا لمنليك خطورة تقديم " توقيع خالىblanc signe " لأى شخص تحت أي ظرف. لكن هنأه على حسن حظه بوقوع الورقة الممهرة والخالية فى يد رجل دين. ثم قالت الوثيقة بأن الميجور سيكودكولا قد تحدث منذ فترة إلى الامبراطورة طايطو، عن زيارة متاؤس لروسيا، وبأنها قد اتخذت طابعا رسميا في هذا البلد، حيث ذكر بأن رئيس الأساقفة قدم رسالة من الإمبراطور منليك لامبراطور روسيا. فأشارت بأنها " سعيدة باستقبال أبونا بشكل جيد هناك، حيث أظهر بأن الحبشة قد نالت الشرف في روسيا". لكنها نفت وجود أي رسالة، وأكدت على البيان القائل بأن حاكما أديس أبابا وسان بطرسبرج سيكونان على اتصال متكرر، وأنه حتى لو كان أبونا يحمل رسالة، فيحتمل ألا تكون هناك ضرورة لإجراء بعض السرية حولها. ومن ثم بدا بأن تصريحات الإمبراطورة تؤكد بيان الإمبراطور. من ناحية أخرى، رجحت الوثيقة بعدم قدرة منليك على إنكار الإجراءات التى تمت بالاعتماد على دهاءه المعتاد. فأكدت على أن الوزير المفوض الايطالى يملك خبرة طويلة في هذا البلد، وأن معرفته الاستثنائية بالإمبراطور حفز القنصل البريطانى على التواصل مع الخارجية البريطانية للاسترشاد برأيها السديد حول وجوب تقديم التعبير المرضى لمنليك لشرحة لمسألة الخطابات شرحًا تامًا. وعلى هذا فإن القائم بالأعمال الايطالى يعزو

الحادث بشكل عام إلى دسيسة روسية، وعلى وجه الخصوص للقائم بالأعمال الروسي فى العاصمة الأثيوبية، حيث كان متاؤس على تواصل مستمر معه قبل بدء تحركه إلى مصر. وفى هذا الاطار يعتقد الميجور سيكودكولا بأنه من الممكن أن يكون أورلوفOrloff قد أقنع الإمبراطور بإعطاء رئيس الأساقفة خطاب مجاملة لإمبراطور روسيا، في الوقت نفسه اقترح منليك عليه، بألا يقول شيئًا عن ذلك، لئلا ينظر للمشروع بنظرة إستياء من قبل مجلس النواب الايطالي والبريطانى. ومن ثم كانت هناك حاجة لنفى وجود أي خطاب، بل قاده الفخر إلى مواصلة القيام بذلك، حتى وصلوا لحقيقة ما حدث مع رئيس الأساقفة، عندما تم تفسير حقيقة "الورقة الخالية التى تحمل شعار الامبراطورية"، والموقعة من قبل منليك شخصيًا. غير أن ختام الوثيقة " بأن الامبراطور لا يقيم أهمية تذكر لرحلة أبونا لسان بطرسبرج !!، والحكم من وجهة نظر محلية، أنه من الصعب أن نرى كيف يمكن تحسين الموقف الروسي هنا"، يقول بأن الزيارة كانت لاغراض سياسية بحتة . غير أن ختامه بالقول " في حالة عدم وجود تعليمات من معاليكم، فسوف لا أفكر فى أي شيء يمكن كسبه من وراء فتح هذا الموضوع للإمبراطور، ولكنى أعتقد أنه يجب أن أشكره على شرحه للموضوع الذى حدث فيه لبس، من خلال الميجور سكودكولا، والذى يتمتع بثقته بدرجو كبيرة، ولا أعتقد أن هناك أي غرض مفيد يمكن أن يخدمنا بالأهمية التى لا داعي لها حول الطبيعة غير التقليدية لبعثة أبونا"، يقطع بأن بريطانيا تتجه إلى عدم إعطاء أهمية تذكر للزيارة، وأن الشرح الذى قدمه الإمبراطور يكفى. ومن ثم فإن نصيحته بتوجيه نسخة من هذا الإيفاد لإيرل كرومر[1]، يشى بضرورة مراجعة الهواجس التى تتحدث عنها المراسلات الخارجة من مصر باتجاه الخارجية البريطانية. وعلى هذا فإن قصة هذا الخطاب تثبت لنا أمرين: اولهما،أن ترتيب الزيارة قد جرى بشكل محكم بين منليك والانبا متاؤس. ثانيهما، أن الادارتين البريطانية والايطالية لم تدخرنان جهدًا فى التنسيق الدبلوماسى المشترك لمعرفة قصة الخطاب من جذورها، ومن أكثر من طرف.

(1) F.O. 403-323, Part VIII :- Op.Cit.,No. 121.Mr. Baird to the Marquess of Lansdowne, Adis Alam, September 26, 1902.., P.84,85..

وإذا كان جزء كبير من الغموض حول الخطابات قد أزالته المراسلات السابقة، فإن القنصل البريطانى فى الاسكندرية قد كشف لنا بقية القصة. فحينما عاد الأنبا متاؤس إلى مصر، كشف لنا حقيقة تلك الخطابات التى سلمها منليك للأنبا. حيث كان تعليقه فى خطاب 18 أغسطس 1902" في سياق محادثتنا الأولى، والتي تصرف فيها رامبولدRumbold كمترجم، وأشرت فيها عرضا، بعد الاستفسارات الأولية البديهية، بإفترض مقابلته لامبراطور روسيا، وأنه سلم له خطاب الملك منليك، فأجابه، لم يكن هناك خطاب من منليك"، يقطع بثلاثة أمور: أولها، أن قصة الخطاب التى شرحها منليك بأنه قد وقع على خطابين فارغين هى قصة صحيحة. ثانيهما، أن الخطابات المسلمة للقيصر والسلطان العثمانى كانت متروكة لقريحة المطران متاؤس. ثالثهما، الثقة الكبيرة التى أولاها منليك لمتاؤس وأنها كانت فى محلها. غير أن إضافة الوثيقة " بأن الأسقف جوانيس توقف معه في وقت واحد قائلا: "كان هناك.. كان هناك"، وأن أبونا لم يرتبك كثيرًا لهذا، بل صحح التناقض بصوت خافت، وبينه بالقول أنه لم يكن سوى خطاب سلام، وأنه حدثت مقابلة للامبراطور، وأنه كان مسرور جدًا باستقباله"، يدلل على أن محاولة نفيه للخطاب قد باءت بالفشل، خاصة وأن أحد المعاونيين له قد ساعد فى كشف ما أراد الأنبا إخفاؤه. وفى هذا الاطار راحت الوثيقة تعلق على البرقية التى أرسلها بيرد قبل يومين سابقين، والتى تشير بنفى الملك منليك لوجود أي خطابلأبونا متاؤوس، فقالت بأنه تم تصوير رحلة متاؤس لروسيا فى أديس ابابا على أنها تمت بناء على طلبه، حسب حديث الكولونيل هارينجتون، وأن حديثه جاء ردًا على اتصال أجراه الكولونيل هارينجتون بعد مدة من رحيل رئيس الأساقفة، فافترض بإمكانية أن يكون قد تلقى خطابات الامبراطور وتوجيهاته قبل أيام من مغادرته القاهرة، حسبما أوضح مرسل الوثيقة فى تقرير سابق. حيث يقول بأنه سمع بأن الرجل قد حمل رسالة من الإمبراطور الروسى إلى منليك، وأيضا رسالة مماثلة من السلطان، تسلمها من أحد الذين كانوا في استقباله في القسطنطينية[1].

(1) F.O. 403-323, Part VIII :- Op.Cit.,No. 72. Mr. Findlay to the Marquess of Lansdowne, Alexandria, August 18, 1902..,P.56..

خامسها، حقيقة ما أثارته الزيارة حول دير السلطان. فقد لخصت لنا رسالة القنصل جون ديكسونDicksonJohn إلى السير أوكونور فى 19 سبتمبر 1902 المقالات العديدة التى نشرتها الصحيفة الروسية "نوفوي فريميا Novoye Vremya. فقلت بأن تلك المقالات قد أعطت وصفا لممتلكات الأحباش التى تقع على مقربة من كنيسة القيامة في مدينة القدس، وتسمى بدير السلطان، وأنه على الرغم من أن القنصل لم ير تلك المقالات بنفسه، إلا أنه فهم بأنها قدمت مقترحات لنقل هذه الملكية إلى "جمعية فلسطين الروسيةRussian Palestine Society ، تلك الجمعية التى تملك تكية كبيرة مجاورة للكنيسة". فى حين أطلعتنا الوثيقة على ما ذهبت إليه صحف أخرى" كالوقائع المصريةEgyptian Gazette " و "الأهرام" من مصر، فأكدت على أن دير السلطان قد تم بيعه بطريقة متاؤس إلجمعية فلسطين الروسية. وأن القنصل ديكسون قد استفسر بصفة خاصة عن المشرف الحبشي على الدير فى القدس، وما إذا كانت هناك أي حقيقة لهذه التصريحات، فذكر له بانه " لا يمتلك أي معلومات حول هذا الموضوع. ومع ذلك لا يوجد شك بأن المكان الذى يسمى بدير السلطان يخص الحبشة، وأنه جزء من بقايا كنيسة كبيرة من أيام الامبراطور قسطنطين، أما في الوقت الحاضر فيشكل سقفًا لكنيسة صغيرة تسمى سانت هيلانة، تقع داخل كنيسة القيامة، ويشكل مطمعا كبيرًا للروس، وأنه ليس واردًا أن يخضع المجتمع الحبشي للتفريط في هذه المدينة، في مقابل فوائد الحماية الروسية، فهذا المجتمع غير مستعد، حتى بموافقة الملك منليك، لتسليم أملاكه المقدسة إلى جمعية فلسطين الروسيةبالمرة. وأن الأقباط، فى ظل نفوذهم الروحى على الحبشة، وضعوا تلك الأملاك تحت اختصاص الأحباش، وعلى الأرجح سيرفعون اعتراضاتهم الجدية إذا تم التنازل لروسيا عن مثل هذه القطعة المهمة والقيمة من ممتلكاتهم في المدينة المقدسة". وأضافت الوثيقة بأنه على الرغم من أنهم مجتمع صغير، والاملاك موضوع عثماني، إلا أن روسيا ربما تشعر بأنها قد تتغلب في نهاية المطاف على أي اعتراض من جانبهم. وعلى هذا بدا واضحا بأن تدخل الروس فى موضوع الاستيلاء على دير السلطان لن يفلحوا فيه بالمرة. وأن الشعب الحبشى والكنيسة المصرية سترفض أى محاولة للتنازل عن تلك الأملاك المقدسة. وميزة هذه

الوثيقة بأنها تضيف الجديد للكنيسة المصرية وحقوق ملكيتها لهذا الدير، فتحت عنوان تاريخ دير السلطان واستحواذ الأحباش عليه، أحالنا القنصل إلى إيفاده رقم 55 فى 20 سبتمبر 1893، ورقم 39 فى 13 يوليو من نفس العام، وكذلك إلى الكتاب الأزرق المطبوع من قبل الحكومة البريطانية، والذى يتضمن مراسلات حول الموضوع من سنة 1850–1857، جنبًا إلى جنب مع مخطط دير السلطان. لكنه تأسف لعدم وجود نسخة من هذا الكتاب الأزرق في أرشيف المكتب القنصلي، وأنه لم يستطع العثور على أي أثر لذلك، موضحًا " بأنه منذ ظهور المخطط المرفق، والذى يشير بأن جمعية فلسطين الروسية" قد اكتسبت ميزة كبيرة، حيث تملك تكية إلى الجنوب الشرقي من دير السلطان، مرسلا المخطط الجديد الذى قام برسمه ليوضح المواقع النسبية لكنيسة القيامة المقدسة ودير السلطان والتكية الروسية". وسيتبين من خلال الوثيقة بأن حيازة الروس لدير السلطان لم تشكل أي عقبة بين ممتلكاتهم الفعلية، وأن الجدار اليونانى الكبير لكنيسة القيامة Church of the Resurrection يقع داخل كنيسة القبر المقدسChurch of the Holy Sepulchre، وأنه في نهاية المطاف، ومن خلال فتح باب في كنيسة القيامة، سيكون لديهم الوصول عمليا في جميع الأوقات لكنيسة القبر المقدس بغرض عقد الوظائف الدينية دون موافقة رجال الدين اليونانيين الأرثوذكس، وأنه حق كانوا دائما يطمحون لاكتسابه، ولكنه متنازع عليه حتى ذلك الوقت مع البطريرك اليوناني. وإذا كانت الشائعات المذكورة سابقا، والتي ظهرت في الصحف، لديها أى أساس فى الواقع، فقد أوضح بأنه غير قادر حتى ذلك الوقت للتأكد بشكل إيجابي على حقيقتها، ولكن الاهتمام الملحوظ يبين بأن الاسقف الحبشي متاؤوس قد أعطى، سواء في سان بطرسبرج او فى السفارة الروسية في القسطنطينية، لونًا معينًا للتقارير يستحق الاستفسار والمعرفة. حيث يتعين على روسيا الحصول على موطئ قدم في كنيسة القبر المقدس، بما يتيح لرجال دينها حق عقد العبادة فيه، ومثل هذا الفعل سيكون تعديا على الوضع الراهن، فالمبنى يعد عريقًا ومقدسًا، ولا يمكن أن ينظر إليه بلا مبالاة من قبل بعض القوى الاوروبية. واضافت الوثيقة على لسان القنصل بأنه فهم وزميله الإيطالي، بأن هناك انتباه كبير ومرحب به من قبل حكومته للتقارير الحالية

المشار إليها سابقا [1]. ويتضح من خلال الملحق الثانى للخطاب الاسبق أن القنصل قد أرسل خريطة للمواقع[*] المشار إليها فى الملحق السابق، لكنها غير موجودة بالملف[2].

سادسها، التواصل مع منليك بشأن تحركات الأنبا متاؤس فى روسيا والقسطنطينية. أعتقد أن رسالة بيرد، القنصل البريطانى فى أديس أبابا، إلى لانسدون فى 30 سبتمبر 1902 ، محيلا اليه رسالة دي بنسن رقم 364 فى 11 سبتمبر، والتى تتضمن سردًا لاستقبالات السلطان العثمانى للانبا متاؤس، وأن المفوض الإيطالي،الميجور سيكوكودلا، قد أخبره بضرورة إطاعة التعليمات الواردة له من حكومته، وأنه أحضر هذا الموضوع لابلاغه للإمبراطور منليك الأسبوع الماضي، الأمر الذى جعل القنصل البريطانى ممتنا لكونه يقدم له معلومات مهمة، يصب فى هذا الاتجاه. فقد أخبرتنا رسالة بيرد بأن ما ورد فيها هو خلاصة محادثة المفوض الايطالى مع منليك بشأن الزيارة. ويمكن تقسيم المعلومات الواردة فيها إلى ملامح ثلاث: الأول، أنه بدأ بإخبار الإمبراطور بأن سلوك متاؤس في القسطنطينية لم يكن من شأنه أن يجلب الشرف لجلالة الملك. حيث وضع رئيس الأساقفة نفسه كليًا في أيدي السفارة الروسية، وأنه عانى من تقديم نفسه للسلطان تحت رعاية السفير الروسي. الثانى، أن متاؤس ليس لديه حاجة فى السعي لدى أى شخص لأن يقدمه بين ممثلي الملوك الأخرين، لكنه في سبيل القيام بتعريف نفسه، قد تضاءلت كرامته الخاصة، وبالتالي كرامة سيده، يقصد منليك. الثالث، أن الإمبراطور كان حساسًا جدًا حول هذه النقطة، فقد أظهر إنزعاجًا كبيرًا عندما سمع بما فعله متاؤس، وأنه ينتظر عودته لتوضيح تلك الأشياء. الرابع، أن

---

(1) F.O. 403-323, Part VIII :- Op.Cit.,Inclosure 1 in No. 107. Sir N. 0'Conor to the Marquess of Lansdowne,Therapia, October 7, 1902.,P.76,77..

(*) بالنظر لملف الخارجية سنجد أن خريطة المواقع تلك غير موجودة بالمرة.

(2) F.O. 403-323, Part VIII :- Op.Cit.,Inclosure 2 in No. 107 Map. Sir N. 0'Conor to the Marquess of Lansdowne,Therapia, October 7, 1902.,P.77..

متاؤس كان حاملا رسالة من منليك إلى السلطان العثمانى، يوصى فيها بمصالح الرهبان الاحباش في دير السلطان في القدس. الخامس، أن افتراض الميجور سيكوكودلا بأن اعتقاد متاؤس بأنه من الحكمة الاستفادة لنفسه من الدعم الروسي، من أجل الحصول على حل ملائم للنزاع بشأن ملكية هذا الدير، المتنازع عليها بين الأقباط والأحباش منذ قرون مضت، قد وظف لصالح متاؤس لإثارة شكوك منليك حوله. فحديث القنصل الايطالى " بأنه كأى قبطي، فإن الرجل يسعى بلاشك للوصول إلى هذا الترتيب، والذى يلبى المطالبات الحبشية فى جانب، لن يكون مضرا لمصلحة التعاون الدينى بين البلدين، يقصد مصر واثيوبيا، وأن الرجل كان يتصور أنه اذا حاول الترتيب باسناد الدير الجديد إلى الحبشة، وترك حيازة المباني المتنازع عليها للأقباط"، قد استفز الامبرطور. فقد عبر منليك بأنه لن يوافق على هذا المقترح كما هو عليه. مركزا على عدالة المطالب الحبشة فى الامتلاك المنفرد للدير المذكور. السادس، أن منليك كتب لمتاؤس يحذره من البطريرك القبطي في القاهرة ويهدده بقطع العلاقات. فقد ذكر بأنه كان مستاء كثيرا من الوضع في القدس، وأنه "على الرغم من أنه يعترف بسلطة البطريرك في الوقت الحاضر، إلا أنه قد يضطر لتعديل العلاقات القائمة بالفعل بين البطريركية والكنيسة الحبشية". ولهذا فإن تعليق القنصل البريطانى" انا أميل للتفكير فى أن تحمل تصريحات جلالته بعض التفسير لعدم الارتياح لبطريرك الأقباط، والتى طرحت في ايفاد فندلي رقم 109 فى 22 يوليو ، وتلقى بعض الضوء على طبيعة الرسائل الواردة لابونا من اديس أبابا، وتشير إليها نفس الرسالة، وهو ما يفسر بأن منليك كان على اتصال مستمر مع أبونا، وأنه فى الأسبوع الماضي حمل الميجور سيكودكولا لثقته فيه، خطابا منه لإحالته الينا عن طريق البريد"[1]، يدلل على أن ثقة منليك بمتاؤس كانت قليلة، وهو عكس ما تشير به الوثائق الأخرى. وأن الايطاليين حاولوا التشكيك فى ثقة منليك بمتاؤس قدر الامكان. لكن يبدو ان التدبير المشترك بين

(1) F.O. 403-323, Part VIII :- Op.Cit.,No. 126. Mr. Baird to the Marquess of Lansdowne,Addis Abbaba, September 30, 1902...,P.87,88..

متاؤس ومنليك جعل كل الاطراف تحتار فى طبيعة البعثة الاثيوبية لروسيا، وما نقله متاؤس من رسائل ورغبات لكل من الامبراطور الروسى والسلطان العثمانى.

خامسًا: نتائج الزيارة وتوابعها

اعتقد أن زيارة الأنبا متاؤس قد كان لها عدد من النتائج المهمة والتوابع المكملة لأهدافها. وفيما يتعلق بالنتائج فنحصرها فى ثلاث: **الأولى، فشل الحماية الدينية.** حيث أكدت المعلومات التى حصلت عليها الخارجية البريطانية بأن الهدف الرئيسى للزيارة لم يتحقق[1]. فقد فشلتالزيارة فى تحقيق أهدافها الدينية، لأنه لا يوجد أساس لاهوتى بين الكنيستين.ولم يكن هذا الفشل نتيجة لرفض روسى فقط، بل فشلت الحكومة الروسية فى التأثير على متاؤس من أجل اتحاد الكنيستين أيضا[2]. وعلى هذا فإن تصدر متاؤس للزيارة وطرحه إياها كان وراءه رغبة رئيسية تتمثل فى عدم إفشال أى تقارب روسى أثيوبى يتعلق بالحماية الدينية التى تضمن مركزه هو كشخص، لكن إذا تعارضت وقف ضدها.

وراحت رسالة جورج كليرك GEORGE CLERKمن أديس أبابا، للمركيز لانسدون فى 10 مارس 1904، تخبرنا بما أحاله السفير البريطانى في باريس، بخصوص ترحيل بعض المبشرين الكاثوليك مؤخرا من الحبشة منذ ديسمبر 1903، حيث تقدم لنا رسالة السفير تقريرا عن الحادث نفسه، معلنة اتفاقها بشكل رئيسي مع التقرير المقدم بواسطة ديدييهDidier، والمذكور في إيفاد السير مونسونMonson، حيث يؤكد ديدييه على أن الوكالة البريطانية قد استمرت فى ضغطها على الإمبراطور منليك ليعترف المبشرون البروتستانت بأنهم مخطئين. فى حين راح منليك يحذر على أرض الواقع، بأن قبول بعثات أجنبية أخرى إلى الحبشة من شأنه أن يشكل صعوبة فى رفض التحول لديانة المبشرين الإنجليز الداخلين للبلاد، وبالتالى لم يتم إحراز أي

(1) F.O. 403-323, Part VIII :- Op.Cit.,No. 60.Sir C. Scott to the Marquess of Lansdowne,St. Petersburgh, August 6, 1902..,P.50,51..

(2) أنتوني سوريال عبد السيد:- العلاقات المصرية الأثيوبية .. الجزء الثانى، ص 150 .

محاولة، إما لمعارضة البعثات الفرنسية التي أنشئت بالفعل فى أديس أبابا، أو بإدخال المبشرين باللغة الإنجليزية. وتخبرنا الوثيقة بأن تحذير منليك قد جاء بهدف الحفاظ على فعالية المبشرين الإنجليز فى هذا البلد، حيث لا توجد تلك الفعالية في ذلك الوقت، لكن يوجد نطاق صغير لتدريسهم، ومن المحتمل أن تضاف مصاعب سياسية كبيرة ضد الممثل البريطانى فى أديس أبابا [1].

ومن ثم فإن ما قاله القنصل البريطانى فى أديس ابابا سنة 1904 " ولهذا لم يحدث شيء يدفعني إلى الاعتقاد بأن الملك منليك يعتزم الانتساب الحبشي إلى الكنيسة الروسية، علاوة على ذلك، فإن الاختلافات بين الكنيستين كبيرة، بحيث سيكون ترتيب هذا الانتماء صعبا للغاية" [2]، يقضى بأن الأمر من بدايته حتى نهايته، كان مجرد مناورة حبشية هدفها الحصول على دير السلطان بأى شكل كان وفقط.

الثانية، استمرار بقاء التمثيل الدبلوماسى.إذا كنا قد أشرنا فى التمهيد بوجود مقدمات لإنهاء التمثيل الدبلوماسى بين روسيا واثيوبيا، إلا أن ذهاب الأنبا متاؤوس لها قد أجل هذا القرار لعدة سنوات. فطيلة سنة الزيارة وبالتحديد خلال الفترة من نهاية سنة 1901 وحتى 25 اكتوبر 1902 أرسلت بعثة روسية بقيادة ليونتيف استكشفت اثيوبيا وتجولت فى نواحيها[3]. وحين انتهت من مهمتها أرسلت بعثة دبلوماسية روسية جديدة إلى الحبشة، تحركت من سانت بطرسبورغ فى 26 ديسمبر 1902 تحت قيادة ليشن Lissin، يرافقه سكرتير وعدد من الضباط [4].وفى هذا الاطار تقدم لنا رسالة السير

(1) F.O. 403-346, Part X :- Op.Cit.,, No. 89. Mr. Clerk to the Marquess of Lansdowne, Addis Abbaba, March 10, 1904.P.89.

(2) F.O. 403-346, Part X :- Op.Cit.,, Inclosure in No. 148. Mr. Findlay to the Marquess of Lansdowne, Alexandria, July 25, 1904.P.163,164..

(3) Russian Explorer Mission, The Sydney Morning Herald, Saturday 25 October 1902

(4) Russian Mission to Abyssinia, Marlborough Express, Volume XXXVII, Issue 300, 29 December 1902, Page 2

سكوت القنصل البريطانى فى سان بطرسبرج إلى لانسدون فى 23 ديسمبر 1902 معلومات مهمة حول هذا الأمر. حيث يبلغه بأن لاشين الذى تم تعيينه كمفوض روسمقيم فى اثيوبيا، قد ترك سان بطرسبرج وتحرك لاوديسا فى ذات اليوم الذى أرسلت فيه الرسالة. وأن البعثة تحت قيادة الكابتن بارون دي بلاندر Baron de Palenbenr وتتكون من سكرتير، وثلاثة ضباط أطباء،وعسكرى من القوزاق،، بالاضافة لخمسة ضباط آخرين، وأنهم سيتحركون من سان بطرسبرج فى 28 ديسمبر 1902 وسيبحرون من أوديسا لجيبوتىDjibuti، ليصلوها فى 2 يناير 1903 [1].

وفى نفس السياق تشير رسالة السير سكوتإلى لانسدون فى 8 مارس 1904 بالوصول المتوقع من أتو جوسيف Ato-Josif، السكرتير الخاص للإمبراطور منليك، إلى سانت بطرسبرج. مشيرة بأنه الرجل المناسب للخروج مع البعثة الروسية للتنقيب عن الذهب فى أعالى النيل الأبيض[2]. بل يشير ملحق الرسالة السابقة لبعض مقتطفات الصحف التى تابعت الزيارة. فأوردت أحد التقارير للصحيفة الروسية "Russ" في 7 مارس 1904، تقول " بأن رحلة استكشافية يتم تنظيمها من قبل وزارة المالية، للنظر فى إمكانية إحضار الذهب من موقعه فى أعالى النيل الأبيض. وأن الحملة قد جرى تنظيمها بناء على طلب من الإمبراطور منليك. وأنها ستكون تحت إمرة مهندس التعدين م ن كورناكوف M.N. Kurnakoff. وأن أتو جوسيف، السكرتير الخاص للامبراطور منليك ، سيصل لسانت بطرسبورج قريبا لمرافقة تلك البعثة[3].

أما فيما يتعلق بتوابع زيارة الانبا متاؤس لروسيا فقد ظهرت بعد سنتين من الزيارة. ومن خلال ما سنعرضه فى هذه الجزئية سنتعرف على مدى ارتباط تلك التوابع بالزيارة.

---

(1) F.O. 403-323, Part VIII :- Op.Cit., No. 165. Sir C. Scott to the Marquess of Lansdowne,St. Petersburgh, December 23, 1902..,P.104..

(2) F.O. 403-346, Part X :- Op.Cit.,No. 48,Sir C. Scott to the Marquess of Lansdowne,St. Petersburgh, March 8, 1904..P.64.

(3) F.O. 403-346, Part X :- Op.Cit.,Inclosure in No. 48,Sir C. Scott to the Marquess of Lansdowne,St. Petersburgh, March 8, 1904..P.64.

ففى سنة 1904 حدثت ثلاث مسائل هامة:**أولها، تحركات مشاشا الاثيوبى باتجاه الروس فى الاستانة.**حيث اقتفى مشاشا خطوات متاؤس تماما،فجاء إلى مصر ليطالب بملكية الدير، ثم ذهب بعدها للاستانة مستعينًا بروسيا. لكن رغم نفوذ الروس فى تركيا ومساعدتهم له، إلا أن الأحباش فشلوا فى تحقيق أهدافهم فى دير السلطان. وهو ما دعا مشاشا ليعلن عند عودته للاسكندرية " بأنهم، نيابة عن الامبراطور منليك، مصممين على أن تكون كنيستهم كنيسة مستقلة، ولن تكون تابعة لكنيسة روسيا، وأن منليك طلب منه عدم التعامل مع الكنيسة المصرية بعد ذلك، وأن الانبا متاؤس كان من مشجعى هذا الانفصال"[1]. وهنا يمكن القول بنتائج ثلاث: أولها، أن استمرار تأثير زيارة متاؤس جعل مشاشا يقتفى خطواتها خطوة خطوة. ثانيها، أن التصعيد الاثيوبى قد بدا واضحا فيها وأنه استفاد منها كثيرا. فإعلان مشاشا عن استقلال كنيستهم الاثيوبية وانفصالها عن الكنيسة المصرية، وأنها لن تكون تابعة لروسيا، يثبت بأن موجة التصعيد قد وصلت لذروتها فى تلك السنة. ثالثها، أن إدعاء مشاشا بأن الانفصال عن الكنيسة المصرية قد جاء بتشجيع الانبا متاؤس له، يشى بأن منليك يوظف متاؤس لأغراضه السياسية. فنحن لا نعرف ما إذا كان الرجل من الداعين للانفصال أم لا، لكن ولاءه لكنيسته المصرية لم يتشكك فيه أحد.

وقد ذهب أيضا الجنرال مشاشا Machachiah سنة 1904[2]، بصحبة وفد حبشى للمطالبة بتسليم الدير للإثيوبيين، وهذا ما دعي البطريرك إلى دعوة المجلس الملي العام ورجال الكنيسة لمناقشة الأمر، وانتهت تلك المفاوضات بالفشل، لعدم تفريط الأقباط في أملاكهم.

وظلت المشكلة تتطور من فترة الى أخرى دون وجود أى حل، بحيث تفيدنا الوثائق البريطانية فى قراءة المشهد. فقد تحدثت إحدى الوثائق البريطانية على لسان إيرل

(1) أنتوني سوريال عبد السيد: العلاقات المصرية الأثيوبية .. الجزء الثانى، ص ص 314، 315.

(2) Russian Mission to Abyssiniana, The Abyssinians, The Copts and The Holy Places, The Spectator, 16 June 1906,, Page 15

كرومر Earl of Cromer إلى لانسدون فى 9 مايو 1904، بأن الكونت انسللتو COUNT ANCILOTTO، القائم بأعمال القنصل الإيطالي العام، قد قابله منذ عدة أيام طالبا دعمه ومساعدته فى حل مشكلة الدير. شارحًا لهم تطورها، مقرًا بملكية الأقباط للدير منذ قرون عديدة، بعكس ما تقول به الكتابات المصرية بأن الانجليز هم سبب المشكلة. قائلًا بأنه ليس على دراية بالموقف الدقيق لهذا المبنى، ولكنه يفهم بأنه على مقربة من القبر المقدس Holy Sepulchre، وبأن الامبراطور منليك يرغب فى الحصول عليه، وأن الإمبراطورة طياطو، لديها الرغبة في الحصول على حيازته، لكن الأقباط كانوا يرفضون دومًا إعطائهم أى جزء منه. مشيرًا بوجود اثنين من المسؤولين الأحباش الرسميين في القاهرة، أحدهما موظف عام والآخر الانبا متاؤس، بغرض مناقشة هذه المسألة مع سلطات الكنسية القبطية. بل اعترف الكونت انشيلتو بأن القانون فى جانب الأقباط بصفة دائمة. حيث منح الدير لهم من قبل السلطان صلاح الدين الأيوبي في القرن الثاني عشر، وظل في حوزتهم منذ ذلك الحين. وأن الكونت انشيلتو قد أبلغه بانه بالنظر إلى الاعتقاد الراسخ لدى الامبراطور منليك حول هذا الموضوع، فإن الحكومة الإيطالية قد رغبت فى وجوب التنازل عن الدير للأحباش. متحدثا عن تهديد الإمبراطور منليك بأنه ما لم يتم ذلك، فإنه سيوقف كافة الاتصالات مع الكنيسة القبطية في مصر، ويلحق نفسه بروسيا. ومن ثم تعترف الوثيقة بأنه من خلال تبني هذا المسار كان منليك يعتقد بأن الضغوط الروسية سيتم بذلها في القسطنطينية للحصول من السلطان على فرمان يلغى به المنحة الأصلية التى أعطاها السلطان صلاح الدين الأيوبي للأقباط، ويمنح الدير إلى الحبشة. وأضاف الكونت انشيلتو بأنه تحدث إلى العديد من القيادات القبطية حول هذا الأمر. قائلا بأنه إذا كان أسقف الإسكندرية ورجال الكنيسة الأخرين من المكانة الرفيعة فى صف التنازل عن الدير لصالح الحبشة؛ إلا أن العديد من الأقباط العلمانيين من ذوى الثروة والنفوذ، الذين تبادل معهم وكيل القنصلية الإيطالية وجهات النظر، كانوا يرفضون ذلك. محددًا بإنه لا يمكن حل تلك المسألة بسهولة إلا إذا أمكن التغلب على معارضة بطرس غالي باشا، الوزير القبطى للشؤون الخارجية. فحسب كلام الكونت انشيلتو كان غالى يعارض بشدة موضوع التنازل، طالبًا إياه بمد يد المساعدة للتغلب على هذه المعارضة". ويشير اللورد

كرومر بأنه أخبر الكونت انشيلتو بأنه كان دائما من دواعي سروره تقديم المساعدة لتنفيذ رغبات الحكومة الإيطالية، وأنه يود التكلم عن طيب خاطر مع بطرس باشا، غير أن اضافته بأن وجهة نظره ترى بأن هناك احتمال ضئيل على وجود تسوية المسألة، وتلبية مطالب الامبراطور منليك والحكومة الإيطالية. وأنه فى هذا الاطار تحدث في وقت لاحق مع بطرس باشا، ووجد بأن الوضع كان بحسب ما كان متوقعا. ذكرًا بأن الكونت انشيلتو لم يمض إلا وقت قصير في مصر، وبالتالى من الصعب أن يدرك حقيقة عدم توافق مسئولى الدولة المصرية مع المسئولين البريطانيين، وأنه يوجد حذر شديد من جانب الفريق الأول. وفيما يتعلق باستشارة العلمانيين الاقباط، وهم عامة الشعب القبطى، قال بأن رأيهم غير متوقع ، وأن الموضوع فيه مصالح شخصية. وبالتالى لم يتفاجأ على الاطلاق عندما أكد له بطرس باشا بأن معارضةالأقباط بشدة، سواء علمانيين او رجال الدين، لموضوع التنازل عن الدير. علاوة على ذلك، كان أحد أفراد القنصلية التى يعمل بها انشيلتو، موافقا على التنازل، فرجاه بأن يعارض ذلك بكل ما أوتى من قوة. وفى هذا الاطار طلب كرومر من بطرس باشا ما إذا كان من الممكن اقتراح بعض الامتيازات التى يمكن أن يقدمها الأقباط لصالح الإمبراطور منليك. فأجابه بأن أي ترتيب من هذا النوع يخرج عن اختصاصاته؛ ثم سأله عنإمكانية تقديم مبلغ كبير من المال للأقباط لينفقوا على الكنائس والمدارس في مصر مقابل الدير، لكن لم تجد تلك الترتيبات قبولًا إلا لدى عدد قليل من النخبة ومن المتعلمين تعليمًا عاليًا، بل إن الآراء الصادرة عن كتلة المجتمع القبطي، قالت بأن البطريرك لا يجرؤ على إتخاذ مثل هذا الامتياز، حتى لو وافق بنفسه على ذلك، حيث ذكر بطرس باشا بالفرنسية" بأنه سيتم إلقاؤه فى الشارع". لذا أقر كرومر بأن هذا الأمر صحيح تمامًا. فامتلاك الأماكن المقدسة في القدس هو موضوع يثير مشاعر قوية جدًا بين مختلف الطوائف المسيحية في الشرق. أما فيما يتعلق بالتهديد الصادر من قبل الامبراطور منليك بقطع جميع الاتصالات مع الكنيسة في مصر، أوضح بطرس باشا لكرومر بأن هذا لا يسبب الأهوال للأقباط. فعقيدة الكنائس الحبشية والمصرية واحدة، والاتصال الفعلي بينهما قديم جدًا. فمطران اثيوبيا يتم اختياره من مصر عادة للخدمة في الحبشة. وعلى الجانب الآخر، فإن الأحباش هم الذين يأتون إلى القاهرة ويقيمون فى البطريركية مطالبين

بتعيين مطران مصرى عليهم. وكثيرًا ما سمع شكاوى حول هذا الموضوع . مضيفًا بأنه حينما سأل بطرس غالى عما إذا كان فى إمكان الأقباط أن يقدموا أي شيء لمواجهة رغبات الإمبراطور منليك، بعد أن أفهمه بأن الأحباش لديهم بعض الأسباب التى جعلتهم يجأرون بالشكوى من الطريقة التي كانوا يتعاملون بها في القدس، فأجابه بأن هذا لا يعنى التخلي عن حق ملكية الدير بسهولة، فقد كان الأقباط على استعداد للقيام بكل ما في وسعهم لإرضاء الإمبراطور. لكن مناقشة هذا الأمر ستتم عن طريق المجلس القبطى، في حضور المندوبين الأحباش. وهذا يعنى أن إجابته ستكون مشابهه لإجابته السابقة. ويشير كرومر بأنه بعد رؤية بطرس باشا، قام بزيارة الكونت انشيلتو، وكرر عليه مضمون تصريحات بطرس غالى. فأعرب عن أسفه بأنه، اى كرومر، غير قادر على ايصال وجهة النظر الإيطالية في هذه المسألة، ولكنه شعر بانه مقتنع بالاعتراضات القبطية على موضوع التنازل عن الدير، وانه لا يمكن التغلب عليها تماما. متحدثا عن أمله بألا يظهر السلطان، تحت الضغط الروسي، أي تصرف لإبطال الفرمان السنوى الصادر من قبل السلطان صلاح الدين الأيوبي. وأن حكومة صاحب الجلالة البريطانية عليها أن تعى ذلك، وبأن الاقباط سيتقدمون بطلب لها للحصول على دعمها بوجوب تقدير الحقوق القانونية المعترف بها من قبل الجميع، وأنه سيكون لديهم بعض الأسانيد الأخلاقية للحصول على هذا الدعم. منتهيا بأنه سيرسل نسخة من هذا الإيفاد إلى السير جون هارينجتون، ناصحا بارسال نسخ منها إلى سفراء بريطانيا في روما والقسطنطينية. معبرا عن رأيه الشخصى، بأن الحكومة الإيطالية ستكون حكيمة فى افعالها لإسقاط الطلب بالتنازل عن الدير. لكنه لا يستطيع التعبير بمدى ما يمثله تهديد منليك بتبعية الكنيسة الحبشة للكنيسة الروسية من خطورة. وبالتالى فإن السير جون هارينجتون ربما يكون قادرا على تقديم المعلومات بشأن هذه النقطة، لانها لا تقل خطورة عما يبدو فى تفكير الكونت انشيلتو[1].

وتفيدنا رسالة السير أوكنور القنصل البريطانى فى القسطنطينية إلى لانسدون فى 8 يونيو 1904، بأنه تلقي نسخة من رسالة اللورد كرومر فى 26مايو بعد بضعة أيام من

(1) F.O. 403-346 , Part X :- Op.Cit., No. 117,The Earl of Cromer to the Marquess of Lansdowne, Cairo, May 9, 1904,PP.144,145.

تحرك المبعوث الحبشي الجنرال العام ميشاشيا وراكو Mechechia Warku الى القسطنطينية، وأنه أتيحت له فرصة التعارف به في السلاليك Selamlik فى يوم 3 يونيو، ثم في وقت لاحق خلال تسليتهم على مأدبة غداء في السفارة. مشيرًا بأن وجود المبعوث الاثيوبى في السلاليك قد ولد لديه إحساس كبير. حيث كان يرتدي الملابس المخملية الأرجوانية الفخمة، المحلاه بالذهب، والمرصعة بالمجوهرات،والمنقوشةبرسمة الأسد الحبشي، ويدور حول نفسه مفاخرا. وأنه عندما دعي للاستماع للسلطان، طالبه السلطان بأن يدلى بدلوه فى الموضوع، مخبرا إياه بأنه سيقابل المبعوث الاثيوبى بعد مغادرة القنصل مباشرة. وبناء على استفسار القنصل حول موضوع زيارة مشاشا، ذكر السلطان أنه جاء بخصوص الكنيسة في القدس، وهى الكنيسة التي يطالب بها الأحباش من حيازة الأقباط. وأنه لم يتعرف على تفاصيل القضية، ولكنه طالبه بارسال تقرير له حولها. مضيفا بأن هدفه من استقبال المبعوث الاثيوبى هو تسفيه مؤامرات الروس، الذين استخدموا نفوذهم في الحبشة ضد انجلترا فى بعض السنوات الماضية، والذين كانت جهودهم موجهة لتسفيه العلاقة بين الاحباش والكنيسة الروسية. مطالبا إياهبالتحقق من هذه المفاوضات، خاصة وأن من دواعي سروره، معرفة ما إذا كان عمله سيقلل من الهيبة الروسية ومكانتهم في الحبشة أم لا، مشيرا لمصالح إنجلترا الكبيرة هناك. فالسلطان كان يعرف العلاقة الودية التى تربط انجلترا بالإمبراطور منليك، وأنهم بالرغم من وجود الروس الطويل فى الحبشة، إلا أن التحركات الروسية لم تؤثر علي الانجليز كثيرًا. معبرا عن سعادته إذا ارتاحوا سويا من المؤامرات الروسية، معربًا عن أمله في أن يقدم للانجليزتلك الخدمة الصغيرة. وبالعودة إلى مسألة الكنيسة في القدس، استفسر السلطان من القنصل عما إذا كان متفهما لسيطرة البطريرك القبطي على المبنى منذ مئات السنين. فأشار القنصلبأن الحبشة كانت قلقة من الانفصال عن الكنيسة القبطية والبطريركية الأرمنية الجريجورية، وقلقة من رغبتها فى تشكيل مجتمع مستقل. مفترضا عدم قيام المبعوث الحبشئ بتعكير صفو الحالة القائمة، خاصة وأن إجابة السلطان تركز على الحفاظ على الوضع الراهن. هذا وقد أشار القنصل البريطانى بأنه رأي وزير الخارجية بعد بضعة أيام بعد ذلك، وسمع بأنه بصدد إعداد

تقرير فى هذا الشأن، قائلا على لسانه، بأن رغبته متجهه للحفاظ على الوضع الراهن. وأن المسألة قد تمت تسويتها من قبل بقرار من وزير الشؤون الخارجية العثمانى سنة 1863، وأن الأمر قد تأكد بمرسوم الصدر الاعظم Grand Vizierial Order فى سنة 1892م، وكذلك عن طريق حكم محكمة المجلس الإداري للقدس، المؤرخ فى 1892م. غير أن إشارة الوثيقة عن اكتشاف القنصل بأن اهتمام السفارة الروسية بالبعثة الحبشية العامة كان قليلًا، يثبت بأن التنسيق الاثيوبى الروسى فى تلك المسألة لم يتطور منذ زيارة الانبا متاؤس لها[1].

وأحسب أن كل ما جرى سابقا قد دعا الإمبراطور الإثيوبي إلى إرسال بعثة إلى القدس سنة 1905، فاتصلت بروساء الطوائف المسيحية، وحصلت منهم على شهادات مصحوبة بتوقيعاتهم، تدعم الملف الإثيوبي، فى حين قام منليك بإعداد ملف عن مشكلة الدير، وأرسله إلى سلطان الدولة العثمانية، مؤكداً على أحقية الأحباش في الدير[2]. وآخر محاولة فى هذا الشأن، قام بها الأنبا متاؤس نفسه سنة 1906.فتقرير مطران كرسى أورشليم لبطريرك الكرازة المرقسية بتاريخ 26 مارس 1906 يشير بأن الأنبا متاؤس قد ذكر فى إحدى مراسلاته لبطرس غالى بأن إعطاء مفتاح آخر لدير السلطان للاحباش هو من باب مراعاة واجب الضيافة للمسافرين، وانه لو صار فتح باب آخر لهم من الجهة الشرقية فإنه سيقلل من المشاكل التى يثيرونها. وكان هذا بمناسبة قدوم مشاشا، الذى قدم مطالبات عديدة. غير أن القرار قد اتخذ بعدم تغيير الوضع القائم. بل عادت البطريركية لتقوم بسحب مسألة فتح الباب الآخر الذى شرع متصرف القدس فى انشاءه،وطالبت بإغلاقه مرة اخرى. لكن خلص التقرير بأنه حينما

---

(1) وانهى خطابه بأن ارسل مذكرة وضعها السيد عبري هيربرتAubrey Herbert، الملحق الفخري للسفارة، حول المسألة برمتها، ومذكرة منفصلة عن الكنيسة القبطية، وارسل نسخة من رسالته الى اللورد كرومر ، للمزيد أنظر:

-F.O. 403-346 , Part X :- Op.Cit.,No. 135. Sir N. O'Conor to the Marquess of Luns;lowne, Constantinople, June 8, 1904,PP.152,153.

(2) أنتونى سوريال عبدالسيد:- مشكلة دير السلطان بالقدس.. المرجع السابق، ص ص 13-37 .

وصلوا للقدس وجدوا المتصرف يبلغهم بصدور إرادة سنية بإعطاء مفتاح آخر للاحباش، وأنه فى حالة تأخيرهم عن إعطاء المفتاح سيتم استنساخ مفتاح اخر من قبل الحكومة رغما عنهم. مرسلا ذلك للبطريركية، رافضا إعطاء مفتاح اخر للاحباش حتى لا يعطيهم حق الملكية. لكن اقترح علي البطريركية بأن تعطيهم قطعة أرض شرق الدير يبلغ مسطحها 24 متر فى عرض 10 متر، ليستقلوا بها شرط أن يخرجوا من الدير[1].

ثالثها، الغمز البريطانى حول الحماية الايطالية على الحبشة. إذا كانت الكثير من أسرار زيارة الأنبا متاؤس لروسيا لم تظهر إلا من خلال حديث القناصل الايطاليين مع القناصل البريطانيين، فإن إشارة إحدى الوثائق بتاريخ 8 يونيو 1904 تقول بأنه قد استمر ترويج الوثائق البريطانية حول تلك المسألة لفترة طويلة. فقولها: " بأن السفارة الإيطالية قد أظهرت حرصها على القيام بدور الحامي للبعثة،دون ممارسة نفوذها على الموضوع الخاص بمهمتها"، يشى بأن ايطاليا كانت تخشى اتهام السلطان لها بإزعاجه،بمحاولة تغيير الحالة القائمة. غير أن استشعار القنصل البريطانى لمكانة ايطاليا فى الحبشة جعله يقوم بدعوة القائم بالأعمال الايطالي لمقابلة الجنرال العام مشاشا والأسقف فاكادا Fakada،الراهب الحبشي في القدس، على مأدبة غداء في السفارة، فكان مسرورا بهذا الأمر[2]. وهذا يعنى أن تأثيرات موقعة عدوة فى نهاية القرن 19 التى نتحدث عن تأثيراتها المحلية، ليس لها وزن على المستوى الدولى. حيث ظلت ايطاليا تتعامل مع اثيوبيا فى الخارج كما لو كانت محمية تابعة لها.

---

(1) تقرير مطران كرسى اورشليم مرفوع لغبطة الاب البطريرك الانبا كيرلس بطريرك الكرازة المرقسية للاقباط الارثوذكس عما صار فى مسالة دير السلطان بالقدس الشريف، بتاريخ 26 مارس 1906، ص ص 1-4.

(2) وانهى خطابه بأن ارسل مذكرة وضعها السيد عبري هيربرتAubrey Herbert، الملحق الفخري للسفارة، حول المسألة برمتها، ومذكرة منفصلة عن الكنيسة القبطية، وارسل نسخة من رسالته الى اللورد كرومر ، للمزيد أنظر F.O. 403-346 , Part X :- Op.Cit.,No. 135. Sir N. O'Conor to the Marquess of Luns;lowne, Constantinople, June 8, 1904,PP.152,153.

وتذهب رسالة المركيز لانسدون وزير الخارجية البريطانى إلى إيرل كرومر فى 30 مايو 1904 لتأكيد التدخل الايطالى فى الشأن الخارجى الاثيوبى وترسيخه. فقد أخبرتنا بأنه تسلم رسالته بخصوص المحادثة التى تمت مع القائم بأعمال القنصل الإيطالي العام، بخصوص الاقتراح الحبشي للحصول على التنازل عن دير الأقباط في القدس. وأن الحكومة البريطانية وافقت على اللغة التي استخدمتها الكونت انشيلتو، وعلى الاجراءت التى اقترحتها الخارجية البريطانية للتعامل في هذه المسألة [1].

أما رسالة إيرل كرومر للانسدون فى 26 مايو 1904 فتخبرنا بأمرين: اولهما، المطالب التي تقدم بها الأحباش للكنيسة القبطية فيما يسمى بدير السلطان في القدس. ثانيهما، قيام كرومر بإرسال نسخة من رسالته للبطريرك القبطي، ونسخة من رسالة البطريرك القبطي للإمبراطور منليك، ونسخة من رسالة الجنرال الحبشي العام الرأس نيشاشيا Abyssinian General Dedjasmatch Niechechia لبطريرك الأقباط للتعامل مع هذا الموضوع. ومع أن الرسالة الأخيرة ليست مترجمة، إلا أنهم أخبروا البطريرك بالشكل الذي تحدث عنه، وأنه لم يحاول تصحيح أو تغيير الصياغة. أما تعليق مرسل الوثيقة " أنا اجتمعت مع القنصل الروسى العام، وكلانا يميل لدعم المطالب التى قدمتها الحبشة بشأن الدير، وبالتالى ليس واردا في هذه الحالة أن تسعى السفارة الروسية في القسطنطينية لممارسة الضغوط على بورت، بهدف حمل السلطات التركية للموافقة على نقل الدير للحبشة، وأن الحكومة الايطالية لن تتبنى مطالب الأحباش كما يوردونها، لذا فإننى أحيل نسخة من هذا الإيفاد، مع ملحق سفير الحكومة البريطانية في القسطنطينية، حتى تكون الخارجية مدركة لوقائع القضية، وأود أن أضيف أنه في حالة القيام بعمل يضر بمصالح الجالية القبطية من قبل السلطات التركية في هذا المسألة، فإن المجتمع القبطى سيكون من حقه الحصول على دعم مماثل من قبل الحكومة البريطانية، وأنهم سيرسلون لبريطانيا طالبين هذا الدعم،طالبا

(1) F.O. 403-346 , Part X :- Op.Cit.,No. 123.The Marquess of Lansdowne to the Earl of Cromer,Foreign Office, May 30, l904,P.147..

ارسالنسخة من هذ الإيفاد وملحقه للسير جون هارينجتون" [1]، يقطع بأن اللورد كرومر كان متابعا جيدا للموضوع، وأن تعليقاته كانت فى محلها تماما. وعلى هذا لم يتم تحريك الموضوع قيد أنملة.

ورسالة فندلي إلى لانسداون فى 18 يوليو 1904 التى يرسل له نسخة من الإيفاد الذى ورد من السير هارينجتون بشأن موضوع النزاع الأخير الذى حدث بين الأحباش والأقباط في القدس حول حيازة دير السلطان، وإحاله لانسدون إلى سفير الحكومة البريطانية في القسطنطينية [2]، يبثت بأن الإدارة البريطانية لم تدخر جهدا فى تدوير رسائلها على قناصلها لفهم القضية برمتها. وأن موضوع الحماية الايطالية على الحبشة هى التى قالت به وثائقها. فملحق الرسالة السابقة، والذى هو عبارة عن رسالة من هارينجتون،القنصل البريطانى فى أديس أبابا الى اللورد كرومر فى 8 يونيو 1904، يشير لهذا الأمر بوضوح. فبعد أن يتناول بعض المسائل المتعلقة بتطور موضوع الدير، يستعرض موضوع الحماية الايطالية.ففى مقدمة الرسالة يخبره بأنه قرأ باهتمام كبير إيفاده الخاص لوزارة الخارجية، بشأن الخلاف بين الأحباش والأقباط في القدس، مخبرا بأن الأحباش كانوا يطرحون منذ فترة طويلة مطالبهم، مستندين على أسطورة أساسية، مفادها مبنى صغير بالقرب من القبر المقدس Holy Sepulchre، يقع في حوزة الأقباط في ذلك الوقت. أما الرئيس الموجود لجماعة الأحباش في القدس، ممهير فاكادا Memhir Fakada، فهو نوعية من رجال الدين الجهلة والخرافيين.فقد زار أديس أبابا عام 1903 وأقنع الامبراطورة طياطو Empress Taitou بالضغط على المطالب الحبشية بكل طريقة. فطلبت من السيد كليرك مساعدة الحكومة البريطانية فى إنتاج أدلة معينة تكون فى صالح الجانب الحبشي، حيث كانت تعتقد بأنه فى إمكان

(1) F.O. 403-346 , Part X :- Op.Cit.,No. 127. The Earl of Cromer to the Marquess of Lansdowne, Cairo, May 26, 1904,P.149..

(2) F.O. 403-346 , Part X :- Op.Cit.,No. 148. Mr. Findlay to the Marquess of Lansdowne, Hexandria, July 25, 1904.P.163.

المتحف البريطاني عمل ذلك. ولهذا طالبت بالضغط على الحكومة المصرية لتقوم بدورها بالضغط على السلطات القبطية، لحثها على ترك الموقع وإجبارهم على ذلك. وفى الجزء الأخير من الرسالة يستعرض لنا إجابة كليرك على المسائل السابقة" بأن الاحباش في الأراضي المقدسة يخضعون لحماية إيطاليا، وبالتالى لا يستطيع أن يتخذ أي إجراء رسمي في هذا الشأن إلا إذا طلب الوزير الايطالي منه عمل ذلك". فهذا يثبت بأن موضوع الحماية الايطالية كان معروفا لدى الادارة البريطانية، ليس فقط من خلال تلك الاجابة القاطعة، بل إن القناصل الايطاليين فى اثيوبيا ومصر وروسيا وتركيا كانوا مصدرا لكثير من المعلومات المهمة للبريطانيين.ولعل ما قالته الوثيقة " بأنه عندما علم الميجور سيكودكولا Ciccodicola بذلك، ظهر عليه الخوف من فقد ايطاليا لمزاياها المشكوك في تحصيلها في ذلك الوقت، كونهم يمتلكون حماية الأحباش في فلسطين، حيث ذهب بنفسه إلى الإمبراطورة ليؤكد لها بأنه وحكومته سيجد حلا مرضيا، وبناء على اقتراح سيكودكولا، بأن البعثة الحبشية المشار إليها قد ذهبت إلى مصر، وتم تهديدها بعدم الاعتراف بمطالبها، فإن الكنيسة الحبشية عليها أن تقطع نفسها عن كل سلطة قبطية، فهددت بذلك"، يثبت بأن ايطاليا كانت أكثر تاثيرا فى اثيوبيا من أى وقت مضى. ولعل نصح القنصل البريطانى بالانتظار لمعرفة وزنالتهديد الاثيوبى ومدى أثره فى العلاقات بين الطرفين القبطى والحبشى، ذاكرا أهمية الوضوح البريطاني فى النزاع إذا وقع، بحيث يتجنب البريطانيون وضع أنفسهم في موقف حماية الأحباش، فهذا من شأنه أن يشركهم في حسابات لا نهاية لها، وفى صعوبات مع الأحباش أنفسهم، بل سيثير العداء المشتعل مع الايطاليين دون وجود اى مزايا تعويضية لصالحهم"، يقطع بأن موضوع الحماية الايطالية المفروضة من طرف واحد، كان يقام له اعتبار فى بريطانيا [1].

(1) F.O. 403-346 , Part X :- Op.Cit., Inclosure in No. 148. Mr. Findlay to the Marquess of Lansdowne, Alexandria, July 25, 1904.P.163, 164.

- **خاتمة:**

خلصت الدراسة إلى عدد من النتائج، نوجزها فى الأُتى:

- أوضحت الدراسة بأن زيارة الأنبا متاؤس كانت لها مردود كبير على العلاقات الحبشية الروسية، فقد أثبتت مكانة كل طرف لدى الطرف الآخر، وقربت وجهات النظر فى بعض المسائل المتعلقة بدير السلطان، ونسقت المواقف المعروضة بشأنه لدى الباب العالى العثمانى.
- أثبت الدراسة بأن رفض الروس لمنح الحماية الدينية للكنيسة الحبشة قد جاء من منطلق دينى بحت، وأن الخلاف المذهبى بين الطرفين كان كبيرًا، بحيث أجبر الروس بنصح الاحباش بوجوب طلب تلك الحماية من غيرهم، ومن اليونانيين تحديدًا. فاعتبار الكنيسة الروسية بأن مذهب الكنيسة الحبشية بدعى ولا يوجد أساس لاهوتى يجمعهم، قد أغلق هذا الباب تمامًا على امكانية اللعب بتلك الورقة مستقبلا مع الكنيسة المصرية. بحيث قطعت الزيارة على اثيوبيا إمكانية الاستقلال عن الكنيسة المصرية بالانفصال عنها، وطلب الحماية الدينية من غيرها.
- بينت الدراسة بأن الدور الذى لعبه متاؤس فى تلك الزيارة قد كشف أوراقه وطموحاته فى ثلاثة ملامح رئيسية: أولها، أوضحت بأن طموحاته القيادية لا حد لها ولا سقف. ثانيها، أكدت على مواقفة المتناقضة وشخصيته المركبة. فقد نسق زيارة روسيا بشكل سرى مع الامبراطور الاثيوبى من جهة، وراح يكشف أمرها للكنيسة المصرية من الجهة الأخرى. ثالثها، بينت رغبته الشديدة فى تقديم نفسه للروس والاتراك بطريقة لاتبرزه كرجل دين فقط، بل كشخصية سياسية يمكنها أن تلعب الدور المطلوب منها باقتدار وحنكة.
- أوضحت الدراسة الدور الذى لعبه البريطانيون فى كشف طبيعة الزيارة وأهدافها. وقالت بأن قناصلهم لم يدخروا جهدًا فى كل من مصر وروسيا واثيوبيا وايطاليا ولندن وتركيا، فى متابعة الزيارة لحظة بلحظة، وكشفت الغموض الذى أحاط بها.

- **ملاحق الدراسة:**

أولا: ملاحق الصور:

– صورة الانبا متاؤس

نقلا عن: مجلة الهلال، الجزء العاشر من السنة العاشرة،15 فبراير 1902، ص299.

ثانيا– ملاحق الوثائق:

No. 12.

Consul-General Smith to the Marquess of Lansdowne.—(Received July 11.)

(No. 52.)
My Lord, *Odessa, July* 7, 1902.

I HAVE the honour to transmit herewith to your Lordship abbreviated translation of an extract from the "Vedomosti" of the Odessa Prefecture of the 23rd June (6th July), giving an account of the arrival at Odessa, and departure for St. Petersburgh, of an Abyssinian Mission to the Emperor of Russia.

I have, &c.
(Signed) C. S. SMITH.

Inclosure in No. 12.

Extract from "Gazette" of the Odessa Prefecture of July 6, 1902.

THE Abyssinian Embassy, *en route* for St. Petersburgh, arrived at Odessa yesterday evening. The Right Reverend Abuna Mateos, Senior Metropolitan of Ethiopia, is at the head of the Embassy, the staff consisting of Plata Bulos, Secretary and Governor of the town of Addis Abbaba; Youseuf, Treasurer; two interpreters (Anton Natchil for French and Muhamed Baumi for Russian); and a bodyguard of six men. They were welcomed on arrival by the Acting Governor of Odessa and other high officials, who made appropriate speeches, which were warmly acknowledged and heartily responded to by the Patriarch. The Embassy leaves for St. Petersburgh this morning.

No. 18.

Mr. C. Hardinge to the Marquess of Lansdowne.—(*Received July* 14.)

(No. 224.)
My Lord, *St. Petersburgh, July* 9, 1902.

I HAVE the honour to transmit to your Lordship herewith an extract from this day's "Journal de Saint-Pétersbourg," reporting the arrival in St. Petersburgh of the Abyssinian Mission, having at its head the Metropolitan Abouna Matteos.

The Mission, which travelled viâ Alexandria and Cairo, was accompanied from Odessa by a Representative of the Russian Foreign Office, and was received at St. Petersburgh by M. Lischine, the Russian Resident in Abyssinia, and Bishop Innocent, who pronounced a short greeting in the name of the Orthodox Church.

After a deputation representing the St. Petersburgh Municipality had presented Abouna Matteos with bread and salt, the Mission proceeded to the Grand Hotel.

I have, &c.
(Signed) CHARLES HARDINGE.

Inclosure in No. 18.

Extract from the "Journal de Saint-Pétersbourg" of July 9, 1902.

NOUS avons annoncé que le Métropolite Abyssinien Abouna-Matéos, Gérant de l'Administration de l'Église Abyssienne, Envoyé Extraordinaire du Roi Ménélik, avec son frère, Blatta Paulos, est arrivé hier, 25 Juin, à 10 heures du matin, à Saint-Pétersbourg. Le Métropolite est accompagné de l'Interprète Youssouf, du Secrétaire

[1556]

Gabro-Selassié et de quatre gardes du corps. Le Métropolite a été reçu à la gare par le Gérant du diocèse de Saint-Pétersbourg, le coadjuteur, Mgr. Innocent, Évêque de Narva, le Supérieur de la Laure de Saint-Alexandre-Nevsky, les Archimandrites Nikon, Sophrone, Elie et Arsène, le Conseiller d'État Actuel Lischine, Ministre-Résident de Russie en Abyssinie. Mgr. Innocent a adressé au Métropolite une allocution de bienvenue. Puis le Maire, M. Lélianow, a offert au nom de la ville à l'Envoyé Extraordinaire du Roi Ménélik le pain et le sel sur un plat en vermeil. Des représentants de la Préfecture lui ont souhaité ensuite la bienvenue. Au cours du voyage, la Mission a visité l'Égypte, en traversant Alexandrie et le Caire.

No. 24.

Mr. Findlay to the Marquess of Lansdowne.—(*Received July* 18.)

(No. 66. Secret.)
(Telegraphic.) P. *Alexandria, July* 18, 1902.

WITH reference to my telegram No. 64, I now learn on good authority that, previous to his interview with Ras Makonen at Port Saïd, the Abuna Matthios received letters from Addis Abbaba and announced that he was proceeding to Jerusalem, having abandoned his proposed visit to Upper Egypt.

It is supposed that the intention of the Abuna is to ask the Czar to take the Abyssinian Church under his protection, thus withdrawing it from the control of the Egyptian Coptic Patriarchate, the authorities of which are greatly perturbed at the idea. It appears probable that the Emperor Menelek was acquainted with the proposed action of the Bishop, by whom the whole proceeding may perhaps have been suggested. However this may be, much double-dealing has been exercised in the matter.

I have repeated this telegram to Mr. Baird, and should be grateful if your Lordship would cause the facts to be brought to the knowledge of Colonel Harrington.

No. 26.

The Marquess of Lansdowne to Mr. Hardinge.

(No. 42.)
(Telegraphic.) P. *Foreign Office, July* 18, 1902.

REFERRING to Mr. Findlay's telegram No. 66 of to-day's date, just repeated to you in my immediately preceding telegram, it does not appear necessary to volunteer delivery of the message (contained in my despatch No. 197 of the 16th July) to the Abuna.

No. 35.

Mr. Baird to the Marquess of Lansdowne.—(*Received July* 22.)

(No. 15.)
My Lord, *Addis Abbaba, June* 21, 1902.

I HAVE the honour to report to your Lordship that the Russian Chargé d'Affaires has stated in conversation, that he has heard that M. Leontieff, having apparently exhausted the credulity of European speculators, has thoughts of turning his attention to America, where, according to M. Orloff, he contemplates floating commercial Companies in conjunction with M. Huges Leroux, a French traveller, who has recently published a book full of misleading and inaccurate information regarding this country.

M. Leontieff's proceedings are a fruitful source of difficulties here. There are at this moment fifty-five Somalis, Soudanese, and Indians, British subjects, who have claims against him for which I am endeavouring to obtain satisfaction.

There is no American Representative in this country, and American travellers are in the habit of appealing to His Majesty's Agency for assistance. On the chance that an American commercial undertaking might follow the example of travellers belonging to that nation, I have ventured to bring this rumour to your Lordship's notice, in case it might be thought desirable to give publicity in America to the Emperor Menelek's letter, forwarded in Colonel Harrington's despatch No. 7 of the 12th ultimo, in which His Majesty announces that the letters and statements attributed to him by M. Leontieff, and in virtue of which the latter is said to have formed Companies in Europe, are false.

I have, &c.
(Signed) J. L. BAIRD.

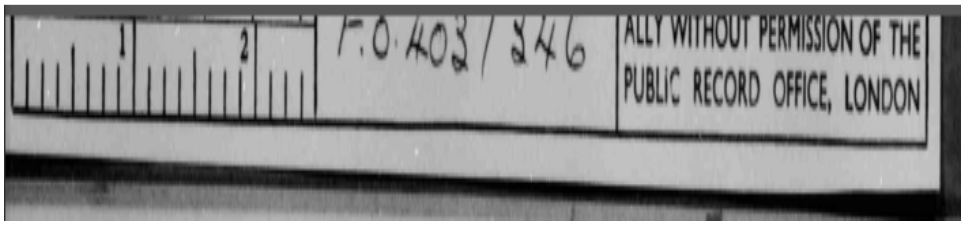

No. 51.

Sir C. Scott to the Marquess of Lansdowne.—(*Received July* 28.)

(No. 240.)

My Lord, *St. Petersburgh, July* 23, 1902.

I HAVE the honour to acknowledge the receipt of your Lordship's despatch No. 197 of the 16th instant relative to the visit to St. Petersburgh of the Abyssinian Abuna Mathios, but as I have had no occasion of meeting the Bishop, I have refrained from acting on the permission given me to deliver to him the message of the Emperor Menelek which was conveyed through His Majesty's Acting Agent and Consul-General at Cairo.

The Abuna had the honour of being received in audience by their Imperial Majesties at Peterhof, and also by the Empress Marie, to whom, as patroness of the Red Cross Society, he was charged to express the deep gratitude of the Emperor Menelek and of the Abyssinian people for the great services rendered to the Abyssinian sick and wounded in their last war by the doctors and nurses of the Russian Red Cross Expedition.

In the interval of déjeûners at Peterhof, receptions by the Ministers of Foreign Affairs and Ways of Communication, and frequent visits to the churches of St. Petersburgh, the Abuna and his Mission found time, "accompanied by the newly-appointed Minister Resident to Abyssinia, M. Lischine, to visit the Obuchoff Works (the Russian Krupp), and saw a trial of new cannon in the polygon."

I have, &c.

(Signed) CHARLES S. SCOTT.

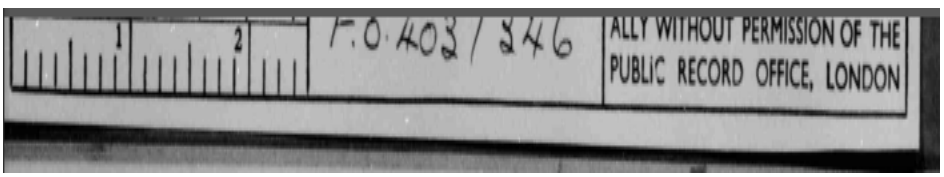

No. 54.

Sir R. Rodd to the Marquess of Lansdowne.—(*Received August* 2.)

(No. 165. Secret.)

My Lord, *Rome, July* 11, 1902.

WITH reference to Mr. Findlay's telegram No. 66, Secret, of the 18th instant, on the subject of the visit of the Abuna Mathios to St. Petersburgh, I have been informed at the Italian Foreign Office that they are in possession of certain evidence that he was the bearer of a letter from the Emperor Menelek to the Czar, but they are not aware of the nature of its contents.

I have, &c.

(Signed) RENNELL RODD.

No. 107.

Sir N. O'Conor to the Marquess of Lansdowne.—(Received October 13.)

(No. 431.)

My Lord, *Therapia, October 7, 1902.*

WITH reference to Mr. de Bunsen's despatch No. 271 of the 11th June, I have the honour to transmit herewith a copy of a despatch which I have received from His Majesty's Consul at Jerusalem respecting the movements of the Abyssinian Prelate, Abuna Mathios, and the possibility of the cession to the Russians of certain Abyssinian Church property near the Church of the Holy Sepulchre.

A copy of this despatch has been forwarded direct to His Majesty's Agency at Cairo.

I have, &c.
(Signed) N. R. O'CONOR.

Inclosure 1 in No. 107.

Consul Dickson to Sir N. O'Conor.

(No. 51.)

Sir, *Jerusalem, September 19, 1902.*

IN my despatch No. 19 of the 31st May last, I had the honour to report to your Excellency the departure for Egypt of the Head of the Abyssinian Church, Abuna Mathios, and since then, according to accounts which have from time to time appeared in the papers, the Abuna seems to have visited St. Petersburgh and Constantinople, where, in the former place he was the object of considerable attention on the part of the Russian authorities, and in the latter of the Russian Embassy.

Some time previously there appeared several articles in the Russian paper "Novoye Vremya," giving an account of the property owned by the Abyssinians in proximity to the Church of the Holy Sepulchre in this city, called "Deir-el-Sultan," and, although I did not see these articles myself, I understand that suggestions were made for the

---

No. 165.

Sir C. Scott to the Marquess of Lansdowne.—(Received December 27.)

(No. 384.)

My Lord, *St. Petersburgh, December 23, 1902.*

I HAVE the honour to report that M. Lishine, the new Russian Minister-Resident in Abyssinia, is leaving St. Petersburgh for Odessa to-day. The remaining members of the Mission, which consists of a Secretary, three medical officers, and an escort of Cossacks under the command of Captain Baron de Palenberg, with five other officers, will leave St. Petersburgh on the 25th instant and sail from Odessa for Djibuti, on the "Saratoff," on the 2nd January.

I have, &c.
(Signed) CHARLES S. SCOTT.